معاداة السامية ونسختها المعاصرة: اليهودي عدواً لفلسطين الصهيونية

عروبة عثمان

تسعى هذه الدراسة لتقفي تمثّلات فلسطين الصهيونية باعتبارها شكلاً من أشكال معاداة السامية، وليس إزاحتها كما تدعي السرديات الصهيونية. وتترجم الدراسة ذلك عبر الحفر في ثلاثة مستويات تُقارب: الفكرة الأيديولوجية صهيونياً؛ نتاجاتها الثقافية الطوباوية؛ مشروعها المادي اليوم. وعلى ذلك، تبحث الدراسة في: ترويج زمن «العودة» الصهيوني إلى فلسطين وتنفيذه، وما ينطوي عليها من تبنّي آخريَّة يهودية لاسامية، وإنتاج زمن «التحرر» الأوروبي من اليهودي «الغريب والمخرِّب». وإذ انعكست تمثّلات المنظومة القومية للدولة الصهيونية في مرآة اللاسامية، فإن الدراسة تقتفي سيرورتها، وصولاً إلى الأيديولوجيا المعاصرة لمعاداة السامية التي تجعل من معاداة الصهيونية أحد مكوناتها. ولذا، تختصُّ الدراسة بتناول تبعات الهاجس الصهيوني بالفناء والإبادة على مشروعية دولته العنيفة وكتم الصوت الفلسطيني في النضال والعودة. يأتي ذلك في ظل موجات قانونية متواترة من مساواة معاداة الصهيونية بمعاداة السامية، لتبحث الدراسة في الادعاءات المرافقة لها فيما يتعلق بالنظر إلى «إسرائيل» كموقع لليهودية الجماعية والتمثيل الحصري لـ«الشعب» اليهودي. كما تناقش الدراسة الإمكانات السياسية التي تحملها الأخلاقيات اليهودية إزاء معارضة كل من

STUDENTS-HUB.com

الصهيونية ومعاداة السامية. تعالج الدراسة ما سبق عبر بحثها في: خطابات المنظِّر الصهيوني ماكس نورداو (Max Nordau)، والنص الطوباوي «صورة المستقبل» للأديب الصهيوني مناحم إدموند أيزلير (Menahem Edmund Eisler)، ومن ثم التعريف العملي الحديث بمعاداة السامية، وانتهاءً بسجالات كل من حنة أرندت (Hannah Arendt)، وجوديث بتلر (Judith Butler)، وبشير بشير وعاموس غولدبرغ (Amos Goldberg)، بشأن رؤية «ثنائية القومية» كأساس لـ «المصالحة التاريخية بين الشعبين».

1. مقدمة

نشهد اليوم رواجاً معاصراً للخطاب الصهيوني القاضي بموازاة عقيدة معاداة الصهيونية لعقيدة معاداة السامية، والمُترجَم إلى إحلال الفلسطيني كالشخصية اللاسامية الجديدة، وإلحاق وصمة أخلاقية بكل منتقدي الصهيونية كمشروع مُكرَّس للمحو والإنشاء، والطرد والإحلال. لن تنطلق هذه الدراسة من مبدأ التفريق الأخلاقي التقليدي بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية، واليهودية والصهيونية، بل من المجادلة في أن فلسطين الصهيونية ليست سوى التعبير الأكثر حداثة من معاداة السامية الأوروبية. ففي حين انعكست تمثّلات المنظومة القومية والبناء العرقي للدولة الصهيونية في مرآة اللاسامية، فإن الدراسة تعمد إلى اقتفاء سيرورتها، وصولاً إلى الأيديولوجيا المعاصرة لمعاداة السامية.

تنطلق الدراسة من سؤال رئيسي عن كيفية تشكيل فلسطين الصهيونية حاضنة مركزية للطروحات المعادية للسامية، عبر البحث في ثلاثة مستويات صهيونية: الفكرة الأيديولوجية، والإنتاج الثقافي الطوباوي، والممارسة الفعلية على الأرض. كما تطرح الدراسة أسئلة عن تبعات اختلاف مفهمة هوية فلسطين الصهيونية فيما يتعلق بالفلسطيني واليهودي على حد سواء؛ ما بين الأمس الذي شهد استغلالاً للاسامية الأوروبية لتكريس فلسطين الصهيونية واقعاً، واليوم الشاهد

STUDENTS-HUB.com

على الاختلاق الصهيوني للاسامية ضد معادي الصهيونية ودولتها «إسرائيل». وتبرز مشكلة الدراسة باستدعائنا خطابات الصهيونية السائدة وواقعها. فما بين أيديولوجيا اعتبار معاداة الصهيونية شكلاً حديثاً من أشكال معاداة السامية، وبين فرضيتنا التي نسعى لبرهنتها أن الصهيونية تُوِّجت كشكل من أشكال معاداة السامية، لا يزال الطرح الأول طاغياً في خلق حقائق سياسية عنيفة تجاه الفلسطيني وأرضه، ونزع الشرعية عن نضاله.

تطمح هذه الدراسة إلى إعادة كتابة فلسطين الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها ومعاديها من الفلسطينيين على أساس المنافحة عن مبدأ تحرير اليهودية وتجربة الاضطهاد اليهودي من قبضة الصهيونية. فبينما تذيب الصهيونية أي حدود بينها وبين اليهودية، وتصور نفسها كمحتكرة ليهودية جماعية، فإن الدراسة تتطلع من وراء برهنة استعمارها – لا لفلسطين والفلسطيني فحسب، بل أيضاً لليهود واليهودية بحد ذاتها، إذ صارت لسان ضحايا اللاسامية وأعادت قتلهم مرة أُخرى – إلى إعادة الاعتبار إلى اليهودية الحقة، أي اليهودية غير المصهينة. إن في ذلك اجتذاباً للقراء المهتمين ببناء خطاب جذري فلسطيني يهودي يرى كل طرف فيه الآخرَ جزءاً من صوغ هويته التحررية في مواجهة الصهيونية، إذ يترسخ النضال ضدها بصفته نضالاً أخلاقياً ضد لاساميّتها من جهة، وضد توظيفها في تبرير سلب الفلسطينيين وطردهم، من جهة أُخرى. ولعل من شأن هذا الخطاب أن يساهم في إعادة إدراج اللاسامية ضمن سلّة الظواهر العنصرية الأُخرى، وعدم التعامل معها كأنطولوجيا فوق تاريخية لا مثيل لها.

تتوزع الدراسة على ثلاثة أقسام مركزية: تقدّم في القسم الأول موجزاً عن تاريخ تشكّل معاداة السامية والصهيونية الغربيتين، كمدخل لتحليل أوجه اللاسامية وتمثّلاتها في نتاجات المنظِّر الصهيوني ماكس نورداو، ومن ثم الوقوف عند رواية «صورة المستقبل» الطوباوية للكاتب الصهيوني مناحم إدموند أيزلير وتتبع أيديولوجيتها اللاسامية، وانعكاسها لاحقاً في يوتوبيا هيرتسل

STUDENTS-HUB.com

«أرض قديمة جديدة». أمّا القسم الثاني، فيضيء على الأيديولوجيا الصهيونية لمعاداة السامية المعاصرة، مبيّناً عوامل تشكّلها وعواقبها على كل من الصهيونية والمسألتين اليهودية والفلسطينية. وإذ يعمد هذا القسم إلى تفنيد الربط العضوي بين اليهودية والصهيونية، فإنه في جزئه الأخير يقدم قراءة للتعريف العملي بمعاداة السامية من جانب التحالف الدولي للمحرقة، وذلك لإعادة موضعة هذا السجال كجزء من السجال «الإسرائيلي» بشأن جوهر الصهيونية وموقع «اليهودية الجماعية» ضمنه. وأمّا في القسم الثالث والأخير، فتساجل الدراسة طروحات كل من حنة أرندت وجوديث بتلر وبشير بشير وعاموس غولدبرغ المتعلقة بالأخلاقيات اليهودية و«أخلاقيات الاضطراب» المنخرطة في نقد عنف الدولة الصهيونية وتمثّلها في الصورة التاريخية للمضطهِدين، وصولاً إلى نقاش دعوتهم إلى التساكُن ضمن إطار ثنائية القومية. وعبر تحليل الخطاب الصهيوني على صعيد الفكرة الأيديولوجية والحركة والمشروع، تبني هذه الدراسة خطاً زمنياً متواصلاً ما بين سنة 1882، التاريخ الذي خط فيه أيزليبر يوتوبيا «صورة المستقبل»، وصولاً إلى يومنا هذا الذي نشهد فيه النسخة الأكثر حداثة عن معاداة السامية، لنمتد بنقاشنا، بموجب ذلك، من أوروبا إلى كل من فلسطين الصهيونية والفلسطينية.

تجدر الإشارة إلى أنه إذا كان النص الصهيوني حاضراً في هذه الدراسة، فإن حضوره يأتي بالدرجة الأولى من المسعى لنقده وتفكيك طروحاته، وليس من جعله المرجع المعياري لنا، كفلسطينيين، في فهم موقعنا في المشروع الصهيوني أو التعرف على كنهه. صحيح أن ثمة باحثين سبقوا هذه الدراسة بالربط ما بين الصهيونية ومعاداة السامية، إلاّ إن هذه الدراسة تسعى للبناء على منجزاتهم المعرفية، عبر قراءة نصوص صهيونية بعينها لم يجرِ تناول معظمها سابقاً. والأهم أنها تعيد موقعة الصهيونية كمشروع لا تُقرأ فيه الفكرة الأيديولوجية بمعزل عن حقلها الأدبي، ولا تُقرأ فيها ممارساتها وطروحاتها اليوم عن معاداة السامية بشكل منفصل عن الاختباء/التمترس خلف معاداة السامية منذ أكثر من مئة عام.

STUDENTS-HUB.com

2. معاداة السامية والصهيونية: جذور وتبعات مشتركة

1.2 موجز معاداة السامية

انبثقت معاداة السـامية الحديثة المبنية على النزعة العرقية من أوروبا العلمانية وحداثتها. وعليه، يأتي مفهوم «الفرضية السامية» للتدليل على الزمنية الأوروبية التي اخترعـت مفهوم «السـامي»، ومن ثم عملت على إخفائـه. وقد جرى التأريخ للقرن التاسع عشر بصفته زمنَ اختراع «الساميين» كنتيجة لاختراع العرق والدين، كما مثّل القـرنَ الوحيـد الذي أعلنت فيه أوروبا انتصارَ علمنتها الحاسـم على الدين.[1] لقد أصبح اليهودي والعربي، في نظر أوروبا، مدموجَيْن ضمن الصِّنافية السامية إلى حد أنه يمكن اختزال أحدهما إلى الآخر في ظل إمحاء الفارق بينهما، وهو ما جعل من العرق والدين صنافيتَين متمايزيتَين، لكنهما متداخلتان في الآن نفسـه في شـخصية الساميِّين، كعدو أنطولوجي لأوروبا ودولة القومية لديها.

شـكّل تاريخ الاستشراق الوجهَ ذاته من تاريخ اللاسامية والعلمنة، على اعتبار أن تاريخ السـاميين هو تاريخ أوروبا، وشـهادة نشـوء الفارق اللامرئي بين اليهودي والعربـي، والعـرق والدين.[2] وقد دفع هذا بالمستشـرق إرنسـت رينـان (Ernest Renan) إلى تصنيف العبرانيين والعرب واليهود ضمن ما دُرج على تسميته «العرق السـامي» الخالي من البعد السياسـي، وولّده نقيضاً لفوقية العرق الأوروبي الآري، وطامسـاً فـي الوقـت ذاته الحدود ما بين العـرق والدين.[3] وعلى الرغم من تمثيل أوروبـا فضـاءً بارزاً للاهوتي – السياسـي، ليحـلّ عداؤها تجاه اليهـودي من الجهة اللاهوتية والعربي من الجهة السياسية بصفتهما مُدرجَين في الفئة عينها، فإن العرق والدين ظهرا كصنافيتَين معاصرتَين، متعايشتَين، ومتلاشيتَين أيضاً بشكل مشترك.[4]

لقد أطلت معاداة السـامية الحديثة برأسـها من مشـروع الاسـتيعاب الأوروبي الـذي فرضـه التنوير الفرنسـي بدرجة رئيسـية، مُتخذاً من مبادئ المسـاواة والحرية غطـاءً لاحتضان «المسـألة اليهودية» فـي كنفه، ومُدّعياً كذلك العمـل على «تحرير» اليهـود مـن «أسـوار عزلتهم». فعلـى الرغم من ممارسـة اليهود الحثيثـة التحللَ من

STUDENTS-HUB.com

الثقافة اليهودية، فإن سياسة الاستيعاب ظلت مُتمترسة عند تمييز اليهود عرقياً وثقافياً، بل جعلهم أكثر بروزاً كاختلاف محض عن البقية.[5] ولعل من المفارقات أن مشروع التنوير حطم الاستقرار الهش للمكون اليهودي، مُتَرجَماً إلى الحكم عليه ككيان غريب يتحتم عليه العيش في هوامش أوروبا، بل خارجها تماماً.[6] وما ضاعف من إنشاء تلك الهوية الآخرية للمكوّن اليهودي هو صعود الدول القومية في أوروبا، ليُعتبر اليهود أربابَ «دور اللادور» في مجتمعات الدول القومية تلك.

بكلمات أُخرى، فإن ظاهرة معاداة السامية تندرج ضمن تاريخ الحداثة الأوروبي ومطامح الدول القومية في فرض أقصى مدى من التجانس العرقي – الديني الداخلي، على نحو يجعل الدول القومية وثيقة الصلة بتاريخها الاستعماري.[7] فمن جهة، ارتبط العنف اللاسامي الذي تجلّت ذروته في المحرقة بإطار الدولة القومية المتورطة دوماً في تحديد المنتمين إليها، ومن ترغب في إقصائهم. وهكذا، حوَّل هذا المنطق الأقليات الداخلية العديدة إلى مشكلة جوهرية يجب حسم أمرها، بما يشمل اليهود وغير اليهود. ومن جهة أُخرى، فإن أيديولوجيا «الحل النهائي» الذي جادت به اللاسامية النازية، والمتمثّل بإبادة اليهود، استلهمت أسسها من حداثة السياسة الشمولية، والتي عنت إعادة تدوير السياسات الاستعمارية التي طُبقت على الأصليين «المتوحشين خارج الحضارة» على الشعوب الأوروبية «المتحضرة». بل إن إقصاء دولة القومية لتلك الفئات «الآخريَّة» عن أوطانها عبّر عن البحث عن «حيز حيوي» للشعب الألماني «آري العرق».[8]

في المجمل، تجري معاداة السامية كعملية نشيطة من تحويل اليهودي في التعريف بناءً على دينه وثقافته إلى يهودي في الجوهر يحمل خصائص «عرقية» راسخة.[9] وعلى الرغم من أن معاداة السامية ليست محمولة دوماً على شروط ازدراء تجاه اليهودي، فإنها في المجمل تستخدم مفاهيم العرق لجوَهرة اليهود، واعتبار أن «روحهم» و«وعيهم» اليهوديَين تغلّبا على العالم. إن تمثيل اليهود قطبَي التضاد يُعتبر أحد السخريات الكبرى لتاريخ اللاسامية بحيث تتماشى موضعتهم في إحدى الصنافيتَين مع الحاجة السياسية إلى دولة القومية في مختلف الحقب

STUDENTS-HUB.com

التاريخية. فقبل صعود النزعات الوطنية الإمبريالية في نهاية القرن التاسع عشر، رأت اللاسامية اليهودَ تعبيراً عن تعلق عنيد بنمط حياتهم الخاص الذي حال دون إدماجهم كمواطنين كاملين في الدولة.[10] أمّا بعد نشوء القوميات، فقد حوّلت اللاسامية اليهود إلى «كوزموبوليتانيين» أكثر مما يجب على نحو يصدق فيه الادعاء أنهم يفتقرون إلى كل أشكال التجذر. وبذا، تمثّلت الانعطافة الأهم في تاريخ اللاسامية الغربية بتحويل سياستها من منطلق الدين إلى المكون العرقي، تزامناً مع صعود اللاسامية النازية واستشراء الرأسمالية.

فبعدما تمثّل حل كراهية اليهود بسبب دينهم بالتحول إلى المسيحية، أصبحت كراهية اليهود لكونهم يهوداً ذريعة لاعتبار النازية ذنبَهم متجذراً في تكوينهم البيولوجي، ولا يمكن تصحيحه سوى بإنهاء حياتهم. وقد عملت المخيلة الأيديولوجية الغربية حينها على إثارة شخصية «اليهودي التائه» في عصر الرومانتيكية.[11] ويُعزى هذا إلى انكماش تفرّد اليهود بسمات محددة يسهل تمييزهم من خلالها. لكن مع انفجار الرأسمالية والحداثة، امتدت سمات اليهود لتسم المجتمع بأكمله. وهنا، صار لزاماً إظهار شخصية «اليهودي المطلق» بديلاً من اليهودي ذي الخصائص المعينة، فلم يعد اليهود مجرد «بخلاء» و«مرابين»، بل صاروا موصومين بلعنة شيطانية أبدية هي سبب كل الشرور؛ بمعنى أن ذنبهم ليس من صنيعهم، مثل «خيانة المسيح وقتله»، إنما مما تمثّلوه، في الجوهر، ليصبحوا محكومين بالتيه والتوق إلى الخلاص من خلال الموت، كما قررت اللاسامية النازية. لقد عملت هذه اللاسامية، على وجه التحديد، خطابياً على ترميز النوع اليهودي كآخريّة غير أصلية للنوع الآري، واعتبرتها شكلاً من العيب الأنطولوجي، حيث لا تمثل اليهودية شكلاً آخر من الوجود، بل نهايته.[12]

2.2 صهيونية «إلى فلسطين» اللاسامية

لقد مثّلت الصهيونية ردة فعل على فشل التنوير الرومانسي الذي عارضته في الأصل، بصفته مبدداً مسعاها لبناء «الأمة اليهودية»، وتأسيس إطار سياسي قومي

STUDENTS-HUB.com

يحتضنها، لتستثمر لاحقاً في معاداة السامية التي أفرزتها الدول الأوروبية، لغرض تدعيم طروحاتها المركزية. وبالتوازي مع ذلك، قرأ هذا النمط من التنوير الخطي اليهودية بمثابة عثرة في وجه إمكان الانخراط في العقد الاجتماعي للأمة الأوروبية، في حين قرأتها الرومانسية الأوروبية نقيضاً تاماً للأمة الأوروبية وعضويتها بطرحها خيار اللاأمة.[13] بموجب ذلك، صاغت الصهيونية نظرية قومية على وقع استعارتها المزاوجة ما بين كونية التنوير الشاب وقومية التنوير الرومانسي البالغ، على الرغم من اعتراضها على طروحاتهما الأساسية تجاه اليهود.[14] وقد كان نتيجة ذلك أنْ اندفعت الصهيونية نحو التفكير في تشكيل عقد اجتماعي خاص باليهود، ينعش فكرة العودة إلى مبدأ «الأمة اليهودية المتفوقة» التي تستدعي نشوء دولة قومية مستقلة خارج الأحياز الأوروبية، متراجعة بذلك عما اعتبرته عوالم كونية موسّعة غامرت به خلال عصر التحرر.[15] وقد شحذ هذا كله وعياً هائلاً بالقومية اليهودية، وخصوصاً أن معاداة السامية الناشئة عن التحرر دفعت مثقفي الطبقة الوسطى اليهود إلى الوعي بيهوديتهم الخاصة التي تتطلب السير على خطى الأمم الأُخرى.

وعلى الرغم من تصوير الصهيونية ذاتها مشروع تحرر قومي لليهود من اللاسامية، فإن مبادئها وممارساتها لم تتشكل سوى على خطى معاداة السامية الأوروبية. وبذا، تلتقي كل من الصهيونية ومعاداة السامية عند قاعدة أساسية تسلمان بها، تقضي بانتساب جميع اليهود إلى «أمة» واحدة تحمل سمات قومية مشتركة ومصيراً قومياً مشتركاً.[16] إن الاختلاف بينهما يتمثّل بأن معاداة السامية «تُحقِّر» تلك السمات القومية، ولا تسأم من ترديد أعمال العنف التي طالت اليهود، بينما لا تزال الصهيونية تمارس تمجيد تلك السمات القومية على أساس الامتثال لصناعة دائمة للعرق اليهودي، لتُنتِج اليوم «غيتو» يهودياً تتمركز فيه أغلبية يهود العالم على أرض فلسطين؛ إذ تمثل التفرقة العنصرية الذاتية الطريق الأهم المؤدي إلى استرداد تكوين الأمة أو إتمام تكوينه.[17]

لقد عملت الصهيونية على إعادة صوغ اليهودية واليهود متوسلة المفاهيم القومية الأوروبية العلمانية القائمة على توحيد اللغة والأرض والمكوِّن اليهودي

STUDENTS-HUB.com

المتأتي من أقطار متعددة. وقد نتج من ذلك أن العلاقة التي جمعت بين الصهيونية واليهودية لم تكن علاقة تتسم بالقطع بالمطلق أو الوصل بالمطلق، بل تراوحت بين القطيعة والوصل، والإقصاء والتكامل في آن واحد.[18] فنظراً إلى تصدير الصهيونية ذاتها بصفتها انقطاعاً عن النزعة الخلاصية الدينية السلبية، في مقابل امتثالها إلى ما اعتبرته أيديولوجيا حداثية «ثورية»، فإنها بذلك أحدثت انقلاباً على الدين اليهودي كنص، واليهودية كحاضنة ثقافية للدين والتجربة التاريخية.[19] وإذ كسرت الصهيونية الشرط الديني الذي يُبقي اليهودي يهودياً، مرسية محله الشرط القومي، فإن يهوداً عديدين خاضوا في البداية ما اعتبروه حرباً وجودية ضد الصهيونية التي أقصت، في نظرهم، اليهودية كدين ينشط كعامل حصري في الحفاظ على ديمومة الوجود اليهودي على مر التاريخ. ولعل هذا يدلل على أن العداء للصهيونية هو ظاهرة يهودية بالدرجة الأولى، خلافاً لما تروجه الأيديولوجيا الصهيونية اليوم.

في ضوء ذلك، روّجت الأدبيات الصهيونية الأولى لـ «العودة» إلى فلسطين، بشكل جعل من هذه الأدبيات مُلتقى أيديولوجياً جمَع الصهيونية السياسية بمعاداة السامية الأوروبية.[20] فعلى الرغم من أن أب الصهيونية السياسية، تيودور هيرتسل، صدّر معاداة السامية جرحاً أبدياً لن يبرأ ولن يلتئم إلاّ على وقع بناء دولة يهودية قومية خارج الأحياز الأوروبية،[21] فإن هذا الطرح بحد ذاته عبّر عن تقيّد الصهيونية بسجن طروحات معاداة السامية التي طالما اعتبرت تربة اليهودي غريبة عن تربة أوروبا داعية إلى إقصائه إلى خارج المكان والزمان الأوروبيَين. لقد كانت الصهيونية السياسية ابنة معاداة السامية على نحو يتخطى البنوّة الشكلية، إذ لطالما مثّلت معاداة السامية، بالنسبة إلى الصهيونية، ذروة الافتتان بالإمكانات السياسية الكامنة فيها من أجل بلوغ فلسطين وتوحيد اليهود برابطة قومية محيلة إياها على حقيقة وجودية فوق – تاريخية،[22] إذ إن المعادين للسامية سيصبحون أصدقاءنا، والبلاد المعادية للسامية حليفتنا.[23] بل إن هيرتسل ذاته اعتبر تحقق «العودة» إلى فلسطين الصهيونية بمثابة معادل موضوعي لتحرر أوروبا من الجسم اليهودي الغريب الطفيلي والمدمر لأممها،[24] لاعباً بذلك على وتر رغبة المجتمعات

STUDENTS-HUB.com

الأوروبية في نفي اليهود خارج حدودها.

وبالتالي، لم تشكّل الصهيونية يوماً مشروعاً تثويرياً وانقلابياً على معاداة السامية، وإنما كان فراراً منها بالاسترشاد بها. ولذا، فإن جل ما فعلته الصهيونية هو أن أزاحت الواقع الأوروبي عن أكتافها مُبقية موقع المعادين للسامية على حاله، في مقابل تحديد مهمتها في العصف بالواقع اليهودي المتشكّل أساساً من رحم الواقع الأوروبي، وذلك من خلال تحويل اليهود من طائفة إلى قومية، ومن جماعة مقدسة إلى أمة حديثة.[25]

3.2 لاسامية الفكرة الصهيونية: خطابات ماكس نورداو نموذجاً

يكتب المنظِّر الصهيوني ماكس نورداو، في نصه التأسيسي «الصهيونية واللاسامية»، من موقع مطمحه في دحض اتهام الصهيونية بانبنائها على أساس الفرار من معاداة السامية، وليس مواجهتها. وبينما يروّج نورداو العودة إلى فلسطين كخلاص نهائي لليهود، فهو يعلن أن العودة لا تطمح إلى «الانغماس في البربرية الآسيوية، وإنما لتحرير [اليهود] أنفسهم من همجية الغيتو.»[26] ولا يقف نورداو بنزعته الاستشراقية عند حدود فلسطين فحسب، بل يمارسها تجاه اليهود المضطهدين الذين حمّلوا الصهيونية عبءَ تأهيلهم الإنساني أيضاً. ولذا، يصف نورداو اليهود في نصه بكونهم حشداً من الفوضى لا بد للصهيونية من تنظيمها، بل إن ألسنتهم متلعثمة بشكاوى يعلوها الهراء، تستدعي من الصهيونية إعارتَهم اللغات المتحضرة، وهديهم الطريقَ لشقّه، في ظل توق غير محدود إلى صهيون تعمل الصهيونية على صوغه.[27]

هنا، ثمة آخريّة استشراقية حيال يهود «المنفى» تنبجس من وراء المطمح الصهيوني في العودة كثيراً ما تكون محمولة على تذويت التصوّرات اللاسامية ذاتها التي لطالما خلّفت آلاماً يهودية على مدار التاريخ. إن في استثارة «العودة» تلك إنتاجاً صهيونياً لما يمكن اعتباره عملية تحويل اليهودي القومي إلى شخصية لاسامية.[28] فإذا كانت الصهيونية السياسية بمثابة مظلة فكرية مكّنت من استيعاب

STUDENTS-HUB.com

اليهـود الجـدد ضمن التاريخ المسـيحي الأوروبـي الذي جـرت علمنته،[29] فإنها عملـت فـي الدرجة الأولى على انقسـام اليهـودي المضطهَد بفعل اللاسـامية على نفسـه. وقـد أنتـج ذلك تمزيقـاً لليهودي، بين إعـادة إنتاجه كيهـودي قومي أوروبي لاسـامي، وبين آخر يهودي شـتاتي أُعيد إنتاج انتسابه إلى شرق متخيّل، لتُغدَق عليه الصور النمطية اللاسـامية، لنصبح بذلك أمام يهودي يعادي يهودياً آخر، إلى جانب «العربي»، بطبيعة الحال، الذي غدا صنافيَّة أُخرى بفعل سياسات الهوية الأوروبية ما بعد لحظة 1492، كما يقترح جيل أنيجار (Gil Anidjar) محقاً.

أمّـا فـي نص نـورداو «يهودية العضـلات»، فيدعو إلى ضرورة اسـتعادة البنيان الجسـماني الرياضـي لليهـودي وبعـث يهوديـة العضـلات مـن جديد، عازيـاً إماتة الأجسـاد اليهوديـة إلى العقيـدة اللاسـامية الأوروبية التي أفرزت، فـي نظره، مئات آلاف الجثث اليهودية المتكدسـة في الغيتوهات وساحات الكنائس.[30] ففي حين كان اليهود محرومين الهواء والماء والنور والتربة، لتنتشر أجسادهم الهشة المنحنية فـي أمكنـة انعزالهـم، فقـد حان الوقـت لتجديـد علاقتهـم بتراثهم القديـم، يصدح نـورداو بأعلـى صوته: «في طرقـات اليهود الضيقة والمكتظة انكمشـت الحيوية في أطرافنـا البائسـة. فـي عتمـة منازلنـا التـي لا تدخلهـا الشـمس اعتـادت عيوننا على اختلاج الجفون المتوجسـة؛ وبسـبب شـدة الخوف من الملاحقات الدائمة خفتت قـوة حواسـنا، وتحـوّل صوتنـا إلى همس خائـف، لكن علا صوتنا بقـوة عظيمة في وجـه جلادينـا فقـط عندما تلا شـهداؤنا صلاة الجنـازة، وهم على عتبـة موقد النار المسـتعرة يتهيـؤون لحرقهم أحياء.... لذلـك، دعونا نجدد علاقاتنـا بتراثنا القديم: فلنسـتعِد أنفسـنا رجالاً بهمم عالية، وصدور عامرة بالعزة، وحواس متيقظة، وأعين حادة النظر.»[31] وهنا، لا بد من الإشـارة إلى أنه لطالما نظرت معاداة السـامية إلى الجسـد اليهـودي بصفته تعبيراً عن «الذكورة المؤنثـة»، أي غير المكتملة، إذ اعتبرته حقـلاً متدفقاً بالانحناء والهزال والرهاب الاجتماعي المنتشـر في الأحياء اليهودية. ويعيد نورداو موضعة الجسـد الشـتاتي اليهودي ضمن معايير الذكورة المؤنثة ذاتها، فيقول: «نعتقد أن اليهودي ثقيل الحركة جسدياً، ويفتقر إلى اللياقة البدنية إلى درجة

STUDENTS-HUB.com

محزنة، فالوهن ينهش جسده إلى درجة مثيرة للشفقة، ونعتقد أنه أعسر، يتعثر بقدميه دائماً، ويفضل الوقوف منحنياً وملتوياً بدلاً من الوقوف بقامة منتصبة.»[32] وعليه، فإن بناء نورداو لليهودي القومي العضلي الجديد، كامل الذكورة والقوة والانضباط الرجولي، جاء منفعلاً بصورة «الانحطاط» التي كرّسها معادو السامية تجاه الجسد اليهودي، وذوّتها نورداو داخله.

مع ذلك، يقرُّ نورداو بأن هشاشة أجساد اليهود وشيخوختها ليستا خصائص «جوهرانية» في التكوين اليهودي، مثلما تصوّره العقيدة المعادية للسامية. ويُرجع خسارةَ اليهود لياقتهم البدنية و«اليهودية صعبة المراس والمقدامة في الحروب»[33] إلى شرط تاريخي موضوعي تمثل بـ «سجنهم داخل الغيتو على مدار آلاف السنين»،[34] وهو ما سيتطلب منهم «بذل جهود مضنية من أجل تربية أنفسهم من جديد واستعادتها.»[35] لكن نورداو سيعمد في المقابل، إلى استخدام المنطق «الجوهراني» ذاته الذي يحكم طبيعة نظر المعادين للسامية إلى اليهود، ويعمل على «عرقنتهم»، أي تحويلهم إلى عرق، لكن هذه المرة من جهة القطب المضاد للازدراء. وسيجري هذا من خلال اعتبار تمتع اليهود بـ «عقول حادة، وخفة الحركة الروحانية – الفكرية، والفهم السريع»،[36] من الخصائص «الطبيعية» التي تميز اليهود لكونهم يهوداً في «الجوهر» حصراً، وهي «شرط مسبق ضروري للأداء الرياضي الاستثنائي»،[37] وتحقيق نموذج يهودية العضلات الذي سيشيّد دولة «صهيون» القومية. وعليه، فإننا نلاحظ أن نورداو يتعامل مع الفرد اليهودي تارة باعتباره بناء اجتماعياً ثقافياً تصقله الأوضاع التاريخية «التراجيدية» المحيطة به، فقط حين يتعلق الأمر بإسقاط صفات سلبية على جسده، وتارة أُخرى باعتباره كائناً «طبيعياً» و«جوهرانياً» عندما يجري إسباغ السمات الإيجابية «الفريدة» عليه، كأنه بذلك، يتبنّى النسخة المعكوسة «المعرقَنة» من معاداة السامية.

من جهة أُخرى، تكمن المفارقة في أنه في حين ينتقد نورداو حكم اليهود على أنفسهم من خلال عيون معاداة السامية، عبر تحويل سمات اجتماعية ونفسية تشكّلت بفعل الاضطهاد إلى حقيقة وجودية/بيولوجية لديهم، فإنه يسعى في الوقت

STUDENTS-HUB.com

نفسه لحيازة شهادة اعتراف بالجسم اليهودي الجديد من معادي السامية أنفسهم، إذ يقول: «انغرس في وجداننا، نحن اليهود، النظر إلى أنفسنا، من دون وعي منا، من خلال عيون المعادين للسامية، وكررنا ببغائية وإجرام الاتهامات المجحفة التي يتهموننا بها. لذلك، فإننا ننظر إليها بصفتها حقائق سائدة ومفهومة ضمناً بين اليهود.... لستُ مهتماً أبداً بأن يقوم المعادون للسامية بتغيير آرائهم عنا لتصبح إيجابية.»[38] ثم يعود نورداو إلى مناقضة نفسه عبر استجدائه نظرة احترام إلى اليهود من معادي السامية أنفسهم، قائلاً: «علينا أن نعي أن اليهودي في الشتات هو مخلوق حساس جداً لآراء غير اليهود، وأنه يثمّن فقط تلك المزايا التي يقدّرها محيطه غير اليهودي.»[39] ويضيف شاحذاً همم أبناء «قبيلته»: «احتلوا لأنفسكم مكاناً تحت الشمس. لا تصمتوا كي تثبتوا للعالم المتربص بكم أنكم تستحقّون الحياة والاستمتاع بها بصفتكم شعباً كسائر الشعوب.»[40] ويمتد هذا إلى مطمح نورداو في أن يكون اليهود أنداداً لمعادي السامية في الحقلين الفيزيائي – البدني والروحاني – الفكري. ولعل هذا يُعزى إلى زهو معادي السامية بقدراتهم الجسمانية التي يفتقر إليها اليهود في نظرهم، فضلاً عن سخريتهم من خفة الحركة الروحانية – الفكرية التي يتمتع بها اليهود، مُغدقين عليها طابعاً «جوهرانياً» سلبياً.[41] ولا شك في أن هذا يذكّرنا بمطمح هيرتسل في إعادة تشكيل ما سماه «شعباً يهودياً شريفاً»؛ كرغبة جامحة في استغلال «مزايا» اليهود الكامنة في تحويل أنفسهم إلى شعب يقدِّره الجميع، وأولهم المعادون للسامية.[42]

أمّا في خطابه في المؤتمر الصهيوني الأول (1897)، فيُدرج نورداو المحنة اليهودية، التي يدّعي الكتابة من داخلها، في إطارين: أحدهما مادي واقعي، والآخر أخلاقي روحاني. ففي حين يقاسي يهود شرق أوروبا جروحاً جسدية، صعبة الامحاء والمواراة، في سبيل البقاء أحياء،[43] فإن جروحاً أخلاقية تطبع حياة يهود غرب أوروبا، بعدما توهموا بمساهمة «التحرير» لليهود في استشفاء بعض جروحهم الجسدية، على حد تعبير نورداو. فينتقد ذلك التحرير الذي يعتبره مجرد تماشٍ مع المبادئ المنطقية المحضة في تشكيل عالم الواقع ومنح اليهود حقوقاً مدنية. ويرى

STUDENTS-HUB.com

«التحرر» نابعاً من إكراه أخلاقي لدى الشعوب الأوروبية باستبطان منجزات الثورة والاحتذاء بها، كشرط أساسي في الامتثال لمقاييس العالم الحضاري الإنساني، وليس إعلاءً لرغبة إنسانية حقيقية في الكفّ عن ممارسة الآخريّة تجاه اليهودي وإبقائه غريباً.[44] وعلى الرغم من هجران كثيرين أسوار الغيتو وانصهارهم في المجتمع الحديث، متحللين من خصائصهم المميّزة كعرق وشعب يهوديَين على وقع الحقوق المدنية، فإن اليهودية، في نظر نورداو، بقيت وصمة سلبية مهما يجهد اليهودي في خلع ردائها عنه. وقد أنتج ذلك، في رأي نورداو، محنة أخلاقية تتجاوز نظيرتها الجسدية لدى «اليهودي المُحرَّر»، إذ اعتُبر، من جهة، منبوذاً وهو ما يُفترض به أن يكون وطناً له، ومن جهة أُخرى، لم يستسِغه أبناء «شعبه» للقبول بإعادة احتضانه.[45]

وفي حين يجعل نورداو القبول بالاندماج صنواً للعبودية، خلافاً للصهيونية التي يجعلها وجه الثورة اليهودية على موقعية اليهودي اللاتاريخية والهامشية، عبر تشكيل مجتمع سياسي يبلغ فيه أفراده اليهود أعلى إمكاناتهم المادية والروحية، نرى اعتراضه متأتياً، بصورة فعلية، من طمس الاندماج إمكانات التمترس اليهودي عند مبادئ الفوقية العرقية والأمة اليهودية، وليس بالدرجة الأولى لإفرازها تاريخاً طويلاً من معاداة السامية التي سيوظفونها أيَّما توظيف. وبموجب ذلك، يبشّر نورداو بالصهيونية كسياسة خلاصية تحقق لليهود سبلاً ممكنة للوجود، عبر الوعي بضرورة تحقيق الذاتية الصهيونية بالانتساب إلى عنصر تترتب عليه نتائج ثلاث، هي: التفرقة العنصرية الذاتية، الاستثناء العنصري، التفوق العنصري.[46]

إن اللافت في نصوص نورداو العديدة، وتحديداً في نصه «الصهيونية والشعور الوطني» (1903)،[47] هو تقريع اليهود الاندماجيين لخروجهم عن الإطار اليهودي ودخولهم العقد الاجتماعي للأمة الأوروبية، في حين ستعمل الصهيونية، لاحقاً، على استنساخ انتماء اليهود إلى العقد الاجتماعي للأمة الأوروبية فور غزوهم فلسطين، وستنفي كذلك عدة ثقافات يهودية، مثلما فعل مشروع الاندماج الليبرالي في أوروبا. لكن هذه المرة سيُمارَس المحو الذاكراتي والثقافي لليهود من أجل

STUDENTS-HUB.com

صهرهـم فـي ثقافـة واحدة متجانسـة ذات بعد قومـي مُختلَق. وبينما يحـدد نورداو مهمتين مركزيتين للصهيونية، تتمثلان بـ: حيازة فلسطين كرامة لـ «الشعب اليهودي»، وإعداد «الشـعب اليهودي» من أجل فلسـطين،[48] فإن الصهيونية السياسية ستعمل علـى تغليـب قوة الجـذب في اتجاه «أرض إسـرائيل» على قوة الدفع من الشـتات، وإن روّجت ما هو خلاف ذلك تماماً.[49] لقد نبذت الصهيونية السـائدة الصهيونية الكارثيـة، تحديـداً بعد المؤتمر السـابع (في سـنة 1905)، مختزلة نفسـها في كونها حركة قومية تأخذ من «إسرائيل» مركزاً للأمة، لا أرضَ ملجأ لجماهير يهودية تسعى للنجاة من محنتها في أوروبا.[50]

4.2 الطوباوية اللاسامية: «صورة المستقبل» نموذجاً

تمثِّـل رواية «المسـتقبل» للكاتب مناحم إدموند أيزلير نصـاً طوباوياً مبنياً على التعبير عن فاعلية الوعي القومي الطارئ في بناء الشخصية اليهودية الجديدة، تزامناً مـع الانعـزال عن الخـلاص الإلهي الكامن فـي العقيدة اليهوديـة. وعلى الرغم من كتابـة النص قبل نحو خمسـة عشـر عامـاً من الـولادة الفعلية للصهيونية السياسـية، فإنـه ينتمي إلى الأيديولوجيا الصهيونيـة العلمانية، وتحديداً الأيديولوجيا الطوباوية المنبثقة منها، والتي تحمل بناءً لاسـامياً.[51] ويقدّم أيزلير النص كانتقال ثوري بين زمنين؛ أحدهما يمثّل ماضياً يهودياً سـلبياً، والآخر يمثّل مسـتقبلاً يهودياً قومياً فعّالاً يبعث الأرض والأمة والحكاية دفعة واحدة.

في ضوء اعتبار العلاقة بين الأيديولوجيا السياسية واليوتوبيا الاجتماعية سلسلة جدلية واحدة كقوة دافعة في الصهيونية من هبَّة صهيون إلى تأسيس الدولة، فإن رواية «المسـتقبل» تنـدرج ضمن ما يُطلَق عليه الواقعيـة الطوباوية أكثر من انضوائها تحت مظلة اليوتوبيا الواقعية.[52] بتعبير آخر، يسترشد أيزلير بالمثل الطوباوية التي طالما شكَّلت إجماعاً صهيونياً كبيراً ما بين المشارب الفكرية المتعددة للحركة الصهيونية، وذلك بهدف العصف بالواقع اليهودي القائم وتغييره. ولذا، تُعتبر الدوافع الطوباوية جزءاً لا يتجزأ من الفعل الاجتماعي والسياسـي للحركة الصهيونية، متمثلاً بتحقيق

STUDENTS-HUB.com

«العـودة»، وترميـم «بلادهـم» بعـد عمر طويل من «الخـراب»، وتحويـل اليهود إلى أغلبية وقوة ذات وزن كبير في العالم.[53]

وفـي حيـن يسـتهل الكاتب نصه بإبـراز تجليات برامج العنف ضـد اليهود في أوروبا الشـرقية، عارضاً مشـهدية متدفقة بجنائز الضحايا اليهود وتوابيتهم المتَّشحة بالسـواد، فإنه يجعلها ممثلة لشـرارة انبجاس رؤيتين متضاربتين إزاء مستقبل اليهود تتمثّلان بشخصيتَي أبنير الشاب وجدّه العجوز. ويمثّل أبنير وجهَ المخلّص الجديد في تدشينه الطريق نحو صهيون «فليس أمامنا سوى القتال، النصر أو الموت!»،[54] كما يقول، بينما يمثّل جدّه مبدأ الاسـتكانة إلى ما يبدو قدراً محتوماً على اليهود يسـكنه العـذاب، بانتظار الخلاص الإلهي «دورٌ يمضي ودورٌ يجيء، وكراهية بني إسـرائيل قائمـة إلـى الأبـد لذرّيتـك اليهوديـة، لذا عـانِ وابـقَ صامتاً.»[55] علـى وقع ذلك، يصـدح أبنير بهتاف «إلى فلسـطين»؛ فهما كلمتـان محمَّلتان بوعيه القومي اليهودي، وتمثّلان، في نظره، مفتاح خلاص اليهود الإنساني؛ كلمتان لطالما درجتا على ألسنة اللاسـاميين، في إشـارة إلى أن تراب اليهود الحقيقي لا يوجد في أوروبا التي كتبتْ عليهم اغترابهم فيها، بل في أرض فلسطين البعيدة.

يستسـلم أيزليـر، على لسـان بطله أبنير، إلـى طروحات آباء معـاداة اليهود في الرحيـل، ملتمسـاً منهم علـى طاولة البرلمان «التوصية أمام الصـدر الأعظم ليمنحنا قطعـة أرض صغيـرة تقـع ضمـن دولتـه، هـي أرض آبائنـا منـذ ألفـي سـنة. نحتاج بشـدة إلـى مـكان نضع علـى ترابه رؤوسـنا ونجد فيـه راحتنا حين نغمـض جفوننا للأبد.»[56] فيحوّل أبنير في التماسه هذا اليهود إلى تكوين لاتاريخي، مبتدعاً بذلك تاريخـاً جديـداً ومثالياً يضم كل اليهود، ويتعالى علـى تواريخهم الفرعية «الحقيقية» المتمايزة في أوروبا، وذلك استناداً إلى عالم مملوء بالأساطير القومية.[57]

فعـلاً، يسـتجيب البرلمـان المجري المعـادي للسـامية لطلب أبنيـر، وتتحقق «العودة» المنتظَرة على يديه، ليعلن أبنير أمام جدّه، الذي يرمز إلى الشتات اليهودي، الانفـكاكَ عنـه. ويتغلّب شـوق أبنير إلى بعث «شـعب التوراة» بمعية «سـمو» العرق اليهـودي علـى البقـاء إلى جانـب جـدّه، والانحصار داخـل «الغيتو» ونسـيان فكرة

STUDENTS-HUB.com

«الشعب». وبذلك، تبدو مواجهة العداء للسامية آخرَ شواغل فلسطين الصهيونية التي خلّفت وراءها جدلية الفكرة مع الواقع الأوروبي، ليصبح كل من الأسطورة القومية والوجود القومي شاغلاً مركزياً لها.[58]

كما يبدو هذا النص، الذي كتبه أيزلير عقب «عواصف في النقب»، ملآناً بالإشارات اللاسامية حيال العرب، كاشفاً بذلك عن الخيالات الأدبية والسياسية الاستعمارية لـ«المستوطن السيد». وهكذا، لا تقلّ الصهيونية استشراقاً ومعاداة للسامية عن أوروبا المسيحية التي خرج عنها أبنير واستنجد بها في آن واحد، وهي تنتج تمثّلات عديدة توحي بانفصال اليهودي عن العربي. وقد ساهم الاستشراق الصهيوني في تكريس صناعة «اليهودي الجديد» الذي يتبدى في الرواية كيهودي عسكري حديث، مفصولاً بحسم عن «يهودي المنفى» وكذلك العربي، على وقع تحرير الصهيونيين لذواتهم من يهودية القرن التاسع عشر، والتي ربما تحمل إمكاناً في وجود مساحة مشتركة تجمع اليهودي بالعربي «ثنائية القومية».[59] وعلى الرغم من أن أيزلير لا يُعادي العرب على نحو مباشر، فإن في طمرهم وإخفائهم تماماً تحت تراب ما يعتبرها خربة خالية وصحراء متشقِّقة،[60] انبثاقاً لليهودي القومي اللاسامي الذي يبيد العربي من المشهد ويطهره منه، في الوقت ذاته الذي يُبعد «يهودي المنفى» ويتخلص منه، بموضَعَتِه كـ«آخر» لفلسطين الصهيونية.

يحلّ الخراب، في نظر أبنير بطل الرواية، مزدوجاً بين انحدار اليهود كأجسام خَرِبة في الفضاءات الأوروبية، وبين خراب فلسطين طالما أقدامهم لم «تعد» بعد كي تطأها من جديد، حيث تُعرّى الأرض من «ناسها الأصليين» وأثرهم الإنتاجي. ويحين عند التقاء الأرض مع السواعد القومية اليهودية انقشاع الخراب عن «الجماعة اليهودية» وأرض فلسطين معاً، لتعودا بذلك إلى سكّة التاريخ ودوران حركته، إذ يقول: «مرّت خمسون سنة منذ أضحت يهودا مملكة مستقلة بين أمم المعمورة. ما أعظم الثورة التي اندفعت في هذه الأمة.... كل بقعة نهشتها الصخور وتركتها خربة خالية، حوّلتها سواعد الفلاحين المثابرة إلى أراضٍ زراعية خصبة.»[61]

لقد ألهمت هذه الرواية هيرتسل، لاحقاً، في روايته «أرض قديمة جديدة».

STUDENTS-HUB.com

وبينما اتفقت الروايتان على امّحاء الوجود العربي، إلاّ إن المحو الاستعماري في نص هيرتسل سيتجسّد في هيئة إماتة الأجساد الأصلانية، بتحويلها إلى حفنة من الجياع والشحاذين والخرائب الصامتة، خلافاً لتجاهلهم تماماً في «المستقبل»، في مقابل تصوير صعود اليهودي القومي إلى «أرضه التاريخية» بعد غياب طويل عنها. وعلى الرغم من تعبير هذه النصوص الطوباوية إجمالاً عن وعي استباقي بإدراك البدائل القومية التي لم تتشكّل بعد في عالم ما هو خارج النص، فإن قراءتها الاستعادية اليوم تُظهر قوّتها الأيديولوجية التحويلية في خلق «دستوبيا» (Dystopia) فلسطين الفلسطينية.[62] كما تظهر من وسطها مخاوف اليهودي القومي اللاسامي التي يشحنها العربي المجرَد كشخصية مهدّدة للخيال الغربي الصهيوني، ليصبح العربي مشكلة يهودية كنتيجة مباشرة للتحقّق المظفّر للصهيونية السياسية في فلسطين.[63]

في المقابل، يظهر العربي في الأجزاء الأخيرة من «المستقبل» كعدو خارجي ينقضّ على «مملكة إسرائيل»، مستدعياً تحويلَ القدس إلى ثكنة عسكرية.[64] ويعتبر أبنير هذه الحرب معركة وجودية تقتضي النصر أو الموت، إذ يظهر من فرط مسعاه لحماية الذات اليهودية الجديدة، غير مُبالٍ بتمزيقها وممارسة العنف تجاه نفسها، بشكل يقارب الصورة المعاصرة للدولة الصهيونية.[65] ولذا، يُصرّح أبنير بأن أعداء «الشعب اليهودي»، هذه المرة، ساميّون ومتحدّرون من البادية. فبجانب مَوْقَعَةِ نفسه كيهودي معادٍ للسامية، فإنه، وللمفارقة، يُعبّر عن تطبيعه لاستعمار الأرض من وراء نفيه أمام الملك العربي المهزوم أي رغبة في الاستحواذ على أملاك الغير والإيغال في الدماء.[66]

ولعل من اللافت التعثّر بهوية «إسرائيل» الحديثة في نص كُتب قبل نحو ستين عاماً من نشأتها، إذ يصوّر أبنير تلك الحرب دفاعاً ضرورياً عن النفس اليهودية، والتي تنتهي إلى عقد سلام مع أولئك «الساميين»، في وقت يُمحي «الساميّون» عن أرضهم، ويعتبرهم أبنير جسداً غريباً عنها،[67] على نحو يجعل من العربي «الغريبَ» الجديدَ الذي تَمثَّله اليهودي القومي يوماً ما في أوروبا. فبخلاف السمة

STUDENTS-HUB.com

العامـة فـي الكتابة الطوباوية الصهيونية، المحمولـة على العلاقة المتناغمة بين دولة يهود المسـتقبل و«جيرانهم» – والتي يمكن عزوها إلى المسـحة الكونية التي طالما تلطَّـت خلفهـا الصهيونيـة المعاصرة الناشـئة عـن الارتباط بيـن القوميـة الأوروبية والقومية الإنسـانية «شـعب يعيش مع شعب» –[68] ينحو أيزلير في اتجاه ما يعتبرها الصهيونيـون اليـوم مقاربـة أكثر واقعية على صعيد تأجيـج الصراع وخوض «معركة البقاء»، وخصوصاً بعد تأسيس الدولة الاستيطانية عام النكبة الفلسطينية.

3. معاداة السامية المعاصرة

1.3 الفلسطيني لاسامياً جديداً

شكّلت المحرقة حدثاً تأسيسياً فارقاً اختزن ذروة «الخراب» الذي كانت تلوّح بـه الصهيونيـة مـا قبل حدوثها، لتمارس سـلباً لألسـنة ضحايا المحرقة، مسـتحوذة اليـوم علـى تمثيـل مظلوميَّتهم التاريخيـة بصفتهـا (أي الصهيونية) موطـنَ اليهودية الجماعيـة. وتكمن المفارقة في أن الدولـة الصهيونية التي صوَّرت وجودها كحائل دون الاسـتمرار في معاداة السـامية حول العالم، لا تزال تسـتخدم الرغبة النازية في إبادة اليهودي كشـبح دائم سـيظل يطارد اليهود لكونهم يهوداً فقط، وذلك من أجل تبريـر عنفهـا ضـد الفلسـطيني، وجعل الغـرب مثقـلاً بالذنب تجاه اليهـود، وفرض التحلّـل منـه عبر دعم سياسـاتها الاسـتعمارية، وجعل الفلسـطينيين يدفعـون أثماناً باهظـة من أراضيهم وأجسـادهم جرّاء إفـرازات العقلانية الأوروبية في إطار نموذج دولة القومية العنصرية.

ففـي أعقـاب الحـرب العالميـة الثانيـة، نشـأت سياسـات الاعتـراف بالذنـب الأوروبـي تجـاه الممارسـات اللاسـامية ضـد اليهود، لا نتيجـة الشـعور بالعار من اختراع فكرة «العرق»، وقتل أي مكوّن إنساني حول العالم بسببها فحسب، بل نتيجة اكتشـاف أوروبـا انتماءَ اليهـود إلى «العرق» الأبيض المتفوّق الـذي يُحرّم على أحد قتله أيضاً.[69] لقد حوّل هذا الاكتشـاف «اليهودي» إلى «مسيحي أوروبي»، ليجري تحييده عن تصنيفه سـامياً، بينماً أضحى العربي آخرَ السـاميين، الذي يُحسَـب عرقاً

STUDENTS-HUB.com

وثيقَ الصلة بدينه، في مقابل صعوبة تصنيف اليهودي الذي دخل عالم الأورَبة، من جهـة العـرق أو الدين.[70] وفي حين مثَّلت المحرقة انقلابَ أوروبا على ذاتها، فقد أفضـت إعادة دمج اليهود ضمن الحاضنة البيضاء، إلى استنسـاخ سياسـات الرعب اللاسـامي حيال العرب والمسـلمين في أعقاب الحرب.[71] وعليه، لم يتحقّق في القرن العشرين تصدير حصري للمسألة اليهودية خارج الجغرافيا الأوروبية فقط، بل شهد كذلك ترحيلاً للمسألتين العربية والإسلامية خارجها.[72]

كانـت الصهيونيـة السياسـية، بذلـك، بمثابـة وجـه آخر مـن بداية «السـاميين» ونهايتهم، فقد شكَّلت عملية مزدوجة من «استدخال» العدو واستخراجه؛ العربي من اليهودي، واليهودي من أوروبا مطروداً ومبعداً.[73] وإذا كانت اللاسامية الأوروبية قد أفرزت الإبادة لما خالته حلاً نهائياً للمشـكلة اليهودية في أوروبا، فإن المضمون الصهيونـي بذاتـه طرح أيضـاً الحل النهائي للمشـكلتين العربيـة واليهودية في محو العنصر البشري غير المرغوب فيه.[74]

ومع تحقق الدولة الصهيونية على أرض فلسطين، وإحراز التحرر الوهمي من معاداة السامية، نصَّبت الصهيونية ذاتَها متحدثاً عاماً باسم مناهضةِ معاداة السامية التي للمفارقة لم تُطوَ صفحتها في أوروبا مع إنشـاء دولة قومية يهودية، هي «إسـرائيل». لقد مثّلت حرب حزيران/يونيو 1967 باكورة إنتاج الصهيونية للأيديولوجيا المعاصرة لمعـاداة السـامية. فبينما اعترت الإنسـان العربي حالة من الخـذلان والهزيمة كتبعَة لها، أنتجت الحرب سـرديات جديدة كان من بينها أن الصهيونية لا يزال في وسـعها الانتصـار والتوسّـع أفقيـاً فـي الأرض، مـن دون التزام ترسـيم أي حـدود لدولتها. ووسـط هـذه العاصفة التي ضربت المخيّلتيـن الصهيونية والعربية على حدّ سـواء، وتصاعـد النقـد العالمـي تجاه السياسـات الصهيونيـة في المناطـق المحتلة، في إثر حرب النكسة (1967)، ستنشأ النسخة المعاصرة عن معاداة السامية التي ستجعل من أي اعتراض على الصهيونية ودولتها معاداة لليهود، ولتُترجَم اليوم كسـلاح أخلاقي تصوّبه الصهيونية على الفلسطيني وكل من يمارس فاعليته السياسية انطلاقاً من مبدأ عدالة المسألة الفلسطينية. تهدف الصهيونية من وراء ذلك إلى نزع السمة التأسيسية

STUDENTS-HUB.com

الإحلاليـة العنيفـة عـن مشـروعها، وحصر هوية الدولـة في مكوّنهـا اليهودي الذي «يكافح من أجل البقاء»، للحيلولة دون إدانتها دولياً.

يصـور الصهيونيون طروحات معاداة السـامية المعاصرة وممارسـاتها بصفتها قـد تجـاوزت، مـن جهـة، السـياق الأوروبـي إلـى العالميـن العربـي والإسـلامي، وعقيدة اليمين السياسـي إلى ما يسـمّونه «اليسـار الجديد»، من جهة أُخرى. ويرجع هـذا إلـى احتـكار اليمين الصهيونـي الصهيونيـة، واحتـكار صهيونية اليميـن وراثة اليهودية، فتصبح صهيونية المستوطنين الممثل الشرعي والوحيد لمناهضة السامية، بحيـث تمَّحـي المسـافة بين أن تقول لا للاسـامية في أوروبا ولا لسياسـة الضمّ في فلسـطين.[75] وفي ضوء هذا، نلاحظ اليوم إنتاجـاً مطّرداً للأدبيات الصهيونية التي تخلق تقاطعاً ضمنياً بين معاداة الصهيونية ومعاداة السـامية. فتشـتغل هذه الأدبيات علـى ثلاثـة خطوط رئيسـية، هي: لاسـامية «اليسـار الجديـد» المنـاوئ للصهيونية؛ تعريب اللاسـامية الأوروبية وأسـلمتها؛ إنكار المحرقة النازية وفق شـروط محددة. وتتفق جملة من تلك الأدبيات على أن ما يضفي على اللاسامية طابع الجدّة يكمن في دعم أشخاص يتبنّون الصوابية السياسية ممارسة العنف ضد اليهود باسم مناهضة الاستعمار والعنصرية.[76] كما تذهب هذه الأدبيات إلى اتهام اليسار والفلسطينيين بالاسـتحواذ علـى المحرقـة، وإنتاج صورة معكوسـة لهـا، بتحويل الفلسـطيني إلى اليهـودي المضطهـد الجديـد، والصهيونـي إلـى النـازي الجديـد. كما تُصـوّر هذه الأدبيات الطروحات اليسارية المحمولة على مبدأ تفكيك الدولة الصهيونية، كممثلة لذروة القومية العرقية المنتِجة على الدوام سياسات الإقصاء تجاه المكون اليهودي؛ كإعادة اختزال اليهود إلى وضعهم التقليدي كأقلية محمية في ظل الإسلام.[77]

تهـدف هـذه الأدبيـات، بالدرجة الأولى، إلـى إلحاق وصمة أخلاقية باليسـار الراديكالـي لمجـرد انحيـازه إلـى الطـرف المسـتعمَر. إذ إنها تحوّل نقطـة اعتراضه مـن كونـه اعتراضـاً سياسـياً علـى شـكل تقريـر المصير اليهـودي في هيئة مشـروع كولونيالـي يتحـرك بيـن قطـب المحو والتطهيـر للأصلييـن وقطب البناء والإنشـاء للمسـتوطنين،[78] إلى كونـه مجـرد عـداء متجـذّر للهوية اليهوديـة واعتراض على

STUDENTS-HUB.com

حـق اليهـود بصـورة عامة في تقرير المصير؛ ذلك بأن الدولـة تمثّله حصراً. وهكذا، تطمـس أغلبيـة هـذه النصـوص الإرث التاريخـي لتيارات يسـارية يهوديـة مناهضة للصهيونيـة تشـكلت قبل إقامـة «الدولة»؛ أهمهـا المنظمة العامة للعمـال اليهود في ليتوانيـا وبولنـدا وروسـيا (General Jewish Labour Bund)[79] التـي اعتبـرت الصهيونية حركة انعزالية تسـعى للالتحاق بركب النشـاط الاستعماري في المشرق، وليسـت بالمطلـق حـلاً لمعـاداة السـامية فـي أوروبا.[80] لقـد آمنت حركـة البوند الاشـتراكية بيهودية لا تصادر حق الغير لمصلحة اليهود، ولا تمنح نفسـها الشـرعية فـي الاسـتحواذ على أراضـي الآخرين، بـل ترغب فـي الاندماج والنضـال لانتزاع حقـوق متسـاوية فـي جميـع الأحيـاز التي توجـد فيهـا المجتمعـات اليهودية حول العالم.[81] كمـا اعتبـرت الصهيونيـة وهماً لا يمكن تحقيقه كحـل للعامل اليهودي ويهـود كل العالم،[82] ليحاجـج آخر البونديين في أن الصهيونية أخفقت في اجتياز امتحانها الأخلاقي بالنسـبة إلى اليهود، إذ لم تكن دولتها «إسـرائيل» «الواحة» الأكثر أمانـاً لهـم، ولـم تُحدث قطعاً نهائياً لمسـارات الفكر المعادي للسـامية حول العالم (كمـا ادعـت هي)،[83] إنما سـاهمت في إعـادة تأجيج تلك المسـارات ومضاعفة تصديرها نحو العالم.

إن جـزءاً مـن خلق الوعي الصهيونـي بأداتية معاداة السـامية يُعتبر وثيق الصلة بنبـذ اليسـار العالمي للحصرية اليهودية الإقصائية. غيـر أن المؤرخة الصهيونية أنيتا شـابيرا (Anita Shapira) تعـزو ذلـك إلـى إيقـاظ محاكمة النـازي أدولف أيخمان (Adolf Eichman) في القدس، وبث شـهادته في مطلع سـتينيات القرن العشـرين، ذاكـرة المحرقـة فـي وعي كثيرين؛ إذ تفاقم في إثرها تبنّي هويـة يهودية أكثر انعزالية لدى الصهيونيين، ليندرج مكوّن الخوف من الإبادة ضمن عناصر الهوية الصهيونية الأكثر حضوراً.[84] وقد أفضى هذا، في نظرها، إلى شحذ اليهود حساسيتهم للعداء لدولتهـم كدولـة لليهـود حصـراً، والانتقال إجمـالاً ممـا اعتبرته مجتمعـاً مُحاصَراً إلـى مجتمـع يُثقـل غيـر اليهود بالذنـب والنـدم إزاءه.[85] وتبدو وجهـة النظر هذه متهافتـة، وخصوصـاً بتحميلهـا التطابـق أو التبايـن بيـن معـاداة الصهيونيـة ومعاداة

STUDENTS-HUB.com

السامية على قانون سياسي ثقافي يضيء على ما تعتبره شابيرا هوة كبيرة بين التيارات الصهيونية اليسارية واليمينية، والدينية والعلمانية، وهو ما يعبّر عن جزء من رزمة أيديولوجية ترمز إلى طبيعة الاختلاف في العضوية السياسية في المجتمع الصهيوني.[86] وتفترض شابيرا أن ثمة نسخة «نقية» و«صالحة» عن الصهيونية، تتمثّل في صهيونية الرواد الأوائل من «اليسار» المؤسِّس دولة اليهود الحصرية. كما ترى أنه سرعان ما حادت الصهيونية اليمينية عن الطريق «المثالي» لتلك الصهيونية العلمانية التأسيسية، وضيّعت بوصلتها. وفي نظرها، انعكس هذا التحوّل في انتشار ظاهرة معاداة الصهيونية، بعد نكسة 1967، والتي تفسرها باعتبارها نابعة من الاعتراض على الهوية السياسية اليمينية للحكم الصهيوني، وليس باعتبارها اعتراضاً شاملاً على هوية المشروع الاستعماري الاستيطاني العنيف بذاته، بغض النظر عن تعدد التيارات السياسية داخله.

في ضوء ذلك، تمثّل الصهيونية عودة تهكمية لـ «الوعي الشقي» الممزق والمنقسم على نفسه، والذي يُحال، بدوره، إلى تناقضات لامتناهية واغترابات عن ذاته، كما وصفه عبد الكبير الخطيبي.[87] فبينما صوّرت الصهيونية تحقق الكيانية القومية اليهودية طياً لتاريخ شقاء اليهود المعذبين «المختارين»، جرى في الحقيقة قلب «الوعي الشقي» بصبّه في الجسم الفلسطيني،[88] إذ ولّد نفي منفاهم وشقاءهم شقاءً منفوياً لا يزال يعيشه الفلسطيني. فإذا كان الصهيوني يلقي بخطيئته وشقائه على الفلسطيني حينما يجرّده من ملكه، فإن الفلسطيني الذي لا يجابه الشقاء إلاّ في ذات الصهيوني وعلى مقربة منها، يَجري محوه وإلغاؤه أكان داخل الذات أم خارجها من طرف الصهيوني نفسه. بل إن هذا «الوعي الشقي» الذي يظل يطارد الصهيوني بجعل عذاب الإبادة مُحوّلاً على جسد الفلسطيني، فإنه من فرط تجاهله الآخر، ينتهي إلى تجاهل ذاته.[89] وقد ولّد هذا تشويهاً للوعي اليهودي داخل الحركة الاستعمارية الصهيونية، والوعي الإنساني إجمالاً، حيث أفضى إلى حَمل جان بول سارتر وغيره من المثقفين الأوروبيين وعياً مزدوجاً ممزقاً بين الاعتراف بحق «إسرائيل» في الوجود، والتعاطف مع الفلسطينيين، لكن في حصرهم كلاجئين،

STUDENTS-HUB.com

لا كشعب.[90] وإنه لمن الباعث على التندر أن تعمل الصهيونية و«اعتذاريوها» على مركزة نفسها ومفاهيمها حينما تُقرأ المسألة الفلسطينية؛ إذ يحولِونها إلى محض صهيونية معكوسة تخضع في مفاهيمها عن اللجوء والمنفى والعودة للقاموس الصهيوني للتعبير عن نفسها.

2.3 العداء للصهيونية ظاهرة يهودية

يفترض وجود التماهي بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية، كصيغة معاصرة للصهيونية، تماهياً بين اليهودية والصهيونية، غير أن معاداة الصهيونية تُمثّل تاريخياً ظاهرة يهودية بالدرجة الأولى. فلم تكن الصهيونية لتنبثق لولا إتمام مهمتها الفكرية الأولى في إرساء تعريف جديد باليهودية، مُحدثة عمليةَ تحوُّل تاريخية لمعنى «أن تكون يهودياً».[91] فبموجب هذا، رفض اليهود الأرثوذكس الصهيونية لإحداثها عصفاً بيهوديتهم وتحويلها من «شعب الله المختار» و«شعب الكتاب» إلى قومية إثنية على خطى القوميات الحديثة. وفي حين عارضت تيارات علمانية يهودية الصهيونية، نظراً إلى تحويلها اليهودية من دين إلى قومية ستحول دون إنجاح نضال تلك التيارات المدفوعة برغبة الاندماج في الدول التي نشأ أعضاؤها فيها.[92] وبذلك، فقد عملت الصهيونية على إحداث تزامن بين نفيها الطائفة الدينية المؤمنة بالخلاص الإلهي مع نفيها علمانية اليهود المسكونين بالاندماج، ليكمن تناقضها في أن تصبح علمانية حينما تنفي الدين، وتصبح دينية عندما تنفي العلمانية.[93]

وعلى الرغم من نفي الصهيونية الخلاصَ الديني وعلمانية الاندماج في آن واحد، فإن المنظّر الصهيوني ماكس نورداو، في خطابه في المؤتمر الصهيوني الثاني (1898)، يحاجج في أن الصهيونية ليست حزباً أو تياراً داخل اليهودية، بل هي اليهودية بذاتها؛ ذلك بأن كل ما يضجُّ بالحياة والمثالية في اليهودية، محمول على هوية صهيونية، ويقول: «شعب إسرائيل في معسكرنا، أمّا أنتم فخِرَبٌ متفرِقة.»[94] ومع أن الصهيونية حينها لم تَعدُ تيارَ أقلية وسط المجتمعات اليهودية، غير أن كلمات نورداو تلك تؤذن بالتشكيك المبكر في يهودية المناهضين للصهيونية، ووصمهم

STUDENTS-HUB.com

باللاسامية لاحقاً. بكلمات أُخرى، يعتبر نورداو تشكّل الصهيونية شرطاً ذاتياً وموضوعياً ضرورياً لعدم فناء اليهودية واليهود، في الوقت ذاته الذي سيستشرف اختفاء أولئك المعارضين للصهيونية كيهود،[95] مُهتدياً بذلك طروحات آباء معاداة اليهود، والتي طالما سكنها حلم اختفاء اليهود.

لقد عملت الصهيونية على تحوير اليهودية وطمس قيمها الأخلاقية في التساكُن مع الآخرين. فبعد أن كانت مجرد تيار داخل اليهودية، نشطت في تحويل اليهودية إلى مجرد تيار داخلها.[96] فبقدر ما تحقق تديين الصهيونية وصهينة الدين، فإن الصهيونية تكون قد أفلحت في استيعاب عدة مكونات يهودية في إطارها، بعدما كانت تمثّل نقائض وجود الصهيونية في المنفى. أمّا اليوم، فتتصارع تلك المكونات المُتضمنة في الواقع الصهيوني الجديد على تمثيل الهوية القومية؛ أي خوض الصراع على الصهيونية، لا ضدها، بالاتفاق على محو الفلسطيني وأرضه. ولا يبدو اختراق هذا الواقع ممكناً سوى باللعب على خطوط «جدلية الجوهر»، وذلك بعدما أتمّت الصهيونية ذاتها في «جدلية الوجود» على أرض فلسطين. ولا يعدو أي عداء للصهيونية الحاكمة اليوم من داخل الواقع «الإسرائيلي» حالة نوستالجية؛ ذلك بأن استرداد اليهودية من لسان الصهيونية وسواعدها، لتثبيط ارتباط معاداتها بمعاداة السامية، يتطلب بناء فكرة يهودية جديدة مستلّة من نفي «نفي المنفى»، قادرة، بدورها، على إثارة تناقض مع الواقع الصهيوني المعيش، بشكل يحقق محواً للجوهر واستثارة صراع على الوجود من نوع آخر.[97]

هذا، وقد دفع دخول مجموعات يهودية عديدة طور الصهينة إلى وصم اليهود المتجذرين في رفضهم الصهيونية بمعاداتهم الساميّة.[98] واعتبرت هذه المجموعات الثقافة اليهودية المعارضة للصهيونية مبنية على مبدأ ما سمته «كره الذات اليهودية»، واصمة أعضاءها باليهود الكارهين لأنفسهم و«العرق» اليهودي «الفريد» في نوعه. وقد عملت هذه النظرة تجاههم على إعادة تعيينهم كـ «عرق» أدنى من «العرق» اليهودي ذي النسخة المعيارية للصهيونية. كما عكس هذا كله انزعاج الصهيونية من نسخة محددة عن اليهودية تعتبرها بمثابة عدو مهدد

STUDENTS-HUB.com

لليهودية القومية الحصرية؛ الأمر الذي جعلها معادية ليهود كثر، وملتزمة الفكر اللاسامي تجاههم. وإذا كان موقع اليهود تاريخياً بالنسبة إلى اللاسامية الأوروبية قد اتسم بما يُسمى «دور اللادور» في مجتمعات دولة القومية، فإن الصهيونية قد أعادت إنتاج ذلك الموقع حيال اليهود الرافضين تمثُّل وطنهم الحقيقي في الدولة الصهيونية، لتعتبرهم فائضاً أجنبياً يثير الإزعاج والتشويش على مجتمع دولتها القومية، على النهج نفسه لآباء معاداة اليهود الذين ولدوا من رحم الحداثة «العقلانية» الأوروبية.[99] ومع ذلك، يظل هؤلاء اليهود هم المصرُّون الوحيدون على إعمال روح الأخلاقيات الإنسانية، رافضين الخضوع للمجال «الخاص» للدولة القومية العنصرية.[100]

3.3 معاداة السامية الحديثة قانوناً إقصائياً جديداً

لم تتوقف الصهيونية عند حدّ وصم معارضيها بالعنصرية ضد اليهود فحسب، بل تعدّت ذلك نحو إنشاء موجات جديدة من التشريع القانوني في سياقات عالمية أيضاً، تقضي باعتبار الدولة الصهيونية الحاضنة المركزية لـ «الجماعة اليهودية»، وأي إنكار لوجودها أو حق «الشعب اليهودي» في تقرير المصير يُعدّ عداءً للسامية.[101] ويخلق هذا التعريف الحديث بمعاداة السامية، والذي صاغه التحالف الدولي للمحرقة، فرصة مواتية للدولة الاستيطانية لممارسة العنف والتوسع على حساب الفلسطيني، وخصوصاً في ظل عدم تعريفها بطبيعة حدودها.[102] فيجري ذلك بحجة أن هذه السياسات محضُ تعبير عن الحق في الوجود اليهودي على هدي الأمم الأُخرى، ليظهر الفلسطيني الشخصية اللاسامية الجديدة، ويصبح اعتراضه النضالي على نزعه من أرضه وذكرياته مُدرجاً ضمن الممارسات المعادية لحق اليهود في الوجود.

يحمل التعريف المعاصر بمعاداة السامية تشديداً متكرراً على كون اليهود يتمثّلون في شعب بعينه. وبالتالي، يعمل التعريف على إدراج اعتبار الدولة الصهيونية تتويجاً للعنصرية (أو اتهامها باختراع المحرقة أو المغالاة في الحديث عنها،

STUDENTS-HUB.com

أو تعريض سياساتها لمنحىً مقارن مع السياسات النازية....) ضمن السياسات والمواقف المعادية للسامية. وبذلك تُبنى كل هذه الافتراضات على تحويل الخيال الصهيوني النشيط في إعادة تشكيل اليهود المتمايزين كشعب واحد متجانس يتنازع حقه في تقرير المصير، إلى حقيقة عالمية تنهل من أيديولوجيا انبناء قصة صعود الدولة الاستيطانية على قاعدة التنصل التام من وجود الأصلانيين، كشرط ضروري لمحو بدايات المستوطنين من التطفل والعنف، وتدشين خيال «أمة مستقلة صالحة». وعليه، فإن التعريف المعاصر بمعاداة السامية يقلب العنف الصهيوني التأسيسي ضد الفلسطيني إلى حق نافذ لليهودي أينما وجدَ في السيادة وتوزيع الملكية في أرض فلسطين. ولعل في هذا ما يفسر تصنيف حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS) كحركة معادية للسامية من جانب البرلمان الألماني في سنة 2019، بصورة تهدف إلى إسكات صوت أي حراك سياسي عالمي يعمل من أجل قلب الإقرار بعدالة قضية الفلسطيني وضرورة عودته إلى الأراضي التي هُجر منها قسرياً.

إن كل ما تقدم يوحي بتعامل الصهيونية مع العداء للسامية كظاهرة لاتاريخية أوجد تقاطعها مع صعود القوميات والاستعمار لحظة مواتية لتحقيق النزعة اليهودية الكامنة في العودة إلى «أرض الأجداد».[103] فعوضاً عن قراءتها بصفتها ظاهرة نشأت من رحم السياقات الأوروبية العنصرية، عملت الصهيونية على اقتلاعها من بيئتها السياسية، ونقل العبء الأخلاقي من على أكتاف أوروبا لتضعه على أكتاف الإنسان الفلسطيني. إن التعريف الحديث يعمل على إعادة تشكيل دولة الحصرية اليهودية الطارئة كدولة طبيعية كالتي أنشأتها سائر القوميات، كما يساهم في إعادة تشكيل اليهود كجماعة إثنية موغلة في القِدم تسبق نشوء اليهودية نفسها، إذ إن الاعتراف بها كدولة يهودية ليس اعترافاً بالحق الديني، وإنما بالحق التاريخي الذي يسبق الديني.[104] وبمقتضى ذلك، تتحول النكبة الفلسطينية إلى عملية استرداد لهذا الحق التاريخي، وممارسة استئناف يهودي «ثوري» على وجود الفلسطيني الأصلاني الذي يصبح مجرد «عابر» أو «دخيل طارئ» على البلاد.

STUDENTS-HUB.com

4. سجال في شأن أخلاقيات «ثنائية القومية»: في نقد اللاسامية الصهيونية

على الرغم من إدراك حنة أرندت المبكر مزالق الإطار السياسي القومي ومخاطره، فإن طروحاتها القاضية بإحقاق رؤية ثنائية القومية على أرض فلسطين، من دون التعلق بإطار الدولة، مثّلت عموداً فقرياً لالتزامها الأخلاقي تجاه الصهيونية.[105] فقد اعتبرت أرندت الصهيونية تجربة متقدمة لاستيعاب اليهودي الطامح إلى مواجهة العداء للسامية كمنبوذ واعٍ، أي أنه يعي مظلوميته وما حل به نتيجة فعلها، ويسعى لتخريب القيم الأوروبية وثقافتها، بصفته الممثل الحقيقي الوحيد في العالم اليهودي الحديث.[106] لكن طرحها بات غير ذي صلة حينما تحقق ما كانت تخشاه مع صعود الدولة الصهيونية الاستيطانية، مستنسخة القيم ذاتها التي ساهمت في نبذ اليهود. لقد تمخضت عن هذا معاداة الصهيونية المعكوسة للسامية، والتي وإنْ تمكّنت من إسكات كل ما تبقى من الضمير اليهودي في العلاقة الصهيونية مع العرب، تظلّ محفوفة بخطر إحقاق موجات جديدة من كراهية اليهود.[107]

وإذا كانت أرندت تأخذ من شكل معين من الصهيونية موطئاً لأخلاقيات يهودية تحث على إقران تحرير اليهودي بالآخر الذي يشكل جزءاً أساسياً من ذاته، فإن جوديث بتلر، في المقابل، لا تستعيد التأسيس لأخلاقيات يهودية إنسانية إلاّ من خارج المظلة الصهيونية. وتبني محاججتها على أساس تصوّرها اليهودية كمشروع ضد هوياتي، خلافاً لما أتمته الصهيونية. فيترتب على ذلك تضمين نقد عنف الدولة الصهيونية ضمن التراث اليهودي بأطره الدينية واللادينية، واسترداد اليهودية من أجل مشروع يسعى لتفكيك عنف الدولة وعنصريتها.[108] إن هذا المشروع ضد الهوياتي لليهودية يصوغ العلاقة الأخلاقية لليهودي باللايهودي، والتي تنبع من الحالة اليهودية الشتاتية، بحيث يظل العيش في عالم تعددي اجتماعي تحت شروط المساواة مثلاً أخلاقياً وسياسياً أعلى.[109]

على المنوال نفسه، يؤسس الباحثان عاموس غولدبرغ وبشير بشير «أخلاقيات يهودية فلسطينية مشتركة» تقضي بضرورة العمل ضد ما يعتبرانه روايتين متعارضتين

STUDENTS-HUB.com

لليهود والفلسطينيين تُبنى كل منهما إلى جانب تبنّي الكارثة التأسيسية، على النفي المتزامن والقوي لكارثة الآخر.[110] وبينما يعتبر الكاتبان أن كلتا الروايتين تمثل نقطة مركزية على صعيد الصدام العالمي بين روايتين فوقيتين: إحداهما الرواية الفوقية للمحرقة بما تمثّله من رواية مركزية للغرب، والأُخرى الرواية الفوقية المناهضة للاستعمار، فإن فلسطين الصهيونية تتبدى لديهما كملتقى لعالمين سرديَين يصوّر كل منهما كارثته بعين من الفرادة المفضية إلى تسفيه كارثة الآخر. وفي حين تقودهما هذه الإشكالية إلى إنشاء ثلاثة سجلات جديدة للتاريخ والذاكرة (ثقافية، وتاريخية، وسياسية أخلاقية)، فإن الهدف من ورائها يتبدى في كسر التوتر بين الروايتين وانطوائهما على صدمات غير متلائمة، بغية «دفع التاريخ بعكس التيار»، وعقد ما يسميانها مصالحة تاريخية بين الشعبين. وتتمثّل هذه المصالحة بلغة ثنائية القومية التي تؤيد شكلاً رفيعاً من الجماعاتية (Communitarianism)، أو التي تعترف بالدور الذي تؤديه الإثنية والقومية في «إسرائيل/فلسطين»، على نحو يقضي بالحق في تقرير المصير القومي لكلتا المجموعتَين القوميتين، بينما يشدد على عدم وجوب إحقاق هذا الحق في شكل دولة إثنية حصرية.[111]

وعلى الرغم من أن الكاتبين يشددان على أن ضحايا الأمس اليهود ضمن مؤسسة جماعية «إسرائيل» أبعد ما يكونون عن كونهم وكلاء تاريخيين عاجزين مغلوب على أمرهم،[112] خلافاً للفلسطيني، فإنهما غير موفقَين في افتراض تطابق ولادة الروايتين المتعارضتين من مبدأ النفي لمأساة الآخر. ففي حين يتعذر على الرواية الصهيونية أن تُبنى إلاّ على نفي متزامن وضروري للنكبة، محوّلة المحرقة إلى المرجع المعياري الأعلى للشر المطلق، والتي ترفض مقارنتها بالنكبة كاتجاه اختزالي لها، فإنه لا يُشترط بتحقق الرواية الفلسطينية إنكار المحرقة، بل إن استيعاب الأخيرة في كنفها مُنتج لتماس الفلسطيني الإنساني مع ضحايا يهود كثر سلبت الصهيونية ألسنتهم منهم لمصلحة الأمة المتجانسة.

وفي سياق الحديث عن الأخلاقيات المشتركة، يطرح الكاتبان مفهوم «أخلاقيات الاضطراب»، بهدف تحويل الآخريّة من مشكلة إلى تحدّ أخلاقي

STUDENTS-HUB.com

وسياسي يحول دون بلوغ الروايتين («القومية» الصهيونية والوطنية الفلسطينية) درجة الكليّة والانغلاق، عبر دخول منطقة وسطى تحول دون التماثل التام الذي يستحوذ على الآخر أو الاغتراب التام الذي يفرض القوة فحسب.[113] لكن مساجلتهما في أن سؤال الطرفين زعزعة لما يسميانها «الآخرية الراديكالية» من أجل إحقاق الرؤية ثنائية القومية، تبدو غير عادلة البتة. فلا يمكن مقارنة الآخريّة الصهيونية المنتجة للعنف المادي وأيديولوجيا معاداة السامية المعاصرة ببعض تمثّلات الآخريّة الفلسطينية فيما يوصف بأنه تنكّر للمحرقة الناشئة عن ظروف موضوعية. وفي نهاية المطاف، لا يتحمل الفلسطيني واقعة المحرقة التاريخية، بينما يتحمل الصهيوني كامل المسؤولية عن النكبة المستمرة، وهو ما يبدو غير منسجم مع طروحات الكاتبين الليبرالية في التوجه نحو المصالحة التاريخية، عوضاً عن إنشاء خطابات جذرية عن التحرر من الاستعمار من جهة، وتحرير اليهودية من قبضة الصهيونية من جهة أُخرى. ويدفعنا كل ما تقدم إلى التعارض مع الحل السياسي المتمثّل بثنائية القومية. فعلى الرغم من الاتفاق تحديداً مع بتلر على جعل معارضة الصهيونية قيمة يهودية مُثلى، فإن الترويج لثنائية القومية كإطار أخلاقي لتصحيح مسار الفلسطيني النكبوي، إنما هو إعمالٌ للمساواة بين طرفين أحدهما ينشر وعياً زائفاً بحضور مأساته في الحاضر، بينما يُطلَب من الآخر ما يشبه غفران المذبحة وتحقيق مسافة عنها، وتحويل اللامغتفَر إلى أمر مغفور يمكن تجاوزه على وقع التعايش والتساكن الاجتماعيَين.

5. خاتمة

تخلص هذه الدراسة إلى اعتبار الصهيونية بذاتها شكلاً حديثاً من معاداة السامية الأوروبية، على نحو يُفند المقولة الصهيونية الدارجة بكون معاداة الصهيونية الوجهَ الآخر من معاداة السامية. وتمثّل معاداة الصهيونية رؤية وطنية أخلاقية للتحرر من مشروع استيطاني عنيف، في حين تندرج معاداة السامية ضمن تاريخ العنصرية الأوروبية، ويجب حلّها ضمن سياقها. بمقتضى ذلك، يتعذر محو

STUDENTS-HUB.com

الاستعمار إلاّ بالعنف الثوري وإعادة ترتيب العلاقات القائمة وتفجيرها، وإحلال إنسانية جديدة محل القديمة؛ ذلك بأن العنف الثوري يُطهر الشعب المستعمَر من السموم التي ينفثها المستعمِر في جسده وذهنه، ليخرج المستعمَر عن أمله الزائل بأن يتمثّل بصورة المستعمِر ويكونه. واسترشاداً بذلك، تجادل هذه الدراسة في أن الصهيونية لم تمرر اليهودي بتلك السيرورة الثورية في تحطيم أغلال المستعمِر الأوروبي، وإنما بنقيضها تماماً من الذوبان مع الاستعمار اللاسامي. فإذا نحا بعض اليهود اهتداءً بالخلاص الفردي إلى العبور نحو البياض في حقبة «التحرر» السابقة على الكارثة، فإن الصهيونية أيضاً أوجدت نموذجاً جديداً معيارياً يتمم بياضه الاستعماري القومي بتفكيك علاقاته مع مجموعاته اليهودية الآنفة وتوليده الضحايا الفلسطينيين.

لا يزال المشروع الصهيوني يفرض لدى معاديه ضرورة توليد وعي سياسي إنساني، يتشابك فيه المسعى لتحرير اليهودي مع تحرير الشعب الفلسطيني. ولا يساهم التنصل من مسؤولية متابعة تحرير اليهودي، عبر إيجاد شبكات تضامن مع تحرر الذوات والجماعات المضطهدة الأُخرى، في إدامة معاداة السامية فحسب، بل يقوّض آفاق التحرير البشري الجماعي أيضاً. ويتطلب هذا الانخراط في حركة تحرر مشتركة من معاداة السامية، باعتبار أن الصهيونية تمثّل أقصى تجلياتها وحالاتها. ذلك بأن الدولة الصهيونية، إلى جانب ممارستها النكبة المستمرة على أجساد الفلسطينيين وأرضهم، تحاصر اليهود في الغيتو الذي صنعته وفقَ طروحات الفصل والعزل المبنية على التفوق العرقي القومي، مُولّدة منهم ذوات مستعمِرة تتسابق على التنكيل بالفلسطيني وإماتته اجتماعياً وسياسياً.

إن المنافحة الفلسطينية عن اليهودية التي تقضي بأن مواجهة الاستعمار الصهيوني هي إحدى أهم ركائز هويتها وقيمها الأخلاقية المثلى، تحُول دون احتكار الصهيونية لليهودية وافتراض رابطة «الشعب» الواحد، على نحو يقف سدّاً منيعاً في وجه مطابقتها مع معاداة السامية. بل إن التفكير في النضال ضد المشروع الصهيوني بصفته استعماراً استيطانياً ومعادياً للسامية في آن واحد، يجعلنا

STUDENTS-HUB.com

أمـام عـدة إمكانات سياسـية، أهمها تحلل اليهودي مـن القومية العرقيـة المختلقة، وإعادة تضمينه ضمن ثقافات وشعوب متعددة، منها الشعب الفلسطيني. وبذا، يعود اليهـودي الفلسـطيني (كمـا ينص الميثاق الوطنـي 1968)، والعربي بصورة عامة إلى الظهور مجدداً بعدما مزقته الصهيونية وقسّمته على نفسه، ونشهد تحريراً للفلسطيني واسـترداداً لأرضه. كما تخلُص هذه الدراسـة إلى أن أهم إمكانات نزع الاسـتعمار عـن معاداة السـامية يتمثّـل بإعادة تضمينها تحت مظلة الظواهـر العنصرية الأُخرى، والانفـكاك عـن جعلها معلقة في فئة خاصة فوق تاريخية تبـرر الصهيونية بها ذاتها، إذ يبـدو اليوم المسـلم والعربي في أوروبـا اليهودي المضطهدَ الذي تمثله «اليهودي الجديد» يوماً ما هناك...

STUDENTS-HUB.com

المصادر

1 جيل أنيجار، «اليهودي العربي: تاريخ العدو»، ترجمة وتقديم عبد الرحيم الشيخ ورنا بركات، «مجلة الكرمل الجديد»، العددان 3–4 (ربيع – صيف 2012)، ص 137.

2 المصدر نفسه، ص 139.

3 Gil Anidjar, *Semites: Race, Religion, Literature* (Stanford: Stanford University Press, 2008), p. 30.

4 Ibid., p. 28.

5 لمزيد، انظر: Hannah Arendt, *The Origins of Totalitarianism* (Cleveland: Meridian Books, 1962).

6 Shiraz Dossa, «Lethal Fantasy: Hannah Arendt on Political Zionism,» *Arab Studies Quarterly*, vol. 8, no.3 (1986), p. 222.

7 Arendt, op. cit.

8 لمزيد، انظر: Mark Mazower, *Hitler's Empire: Nazi Rule in Occupied Europe* (London: Lane, 2008).

9 Brain Klug, «The Collective Jew: Israel and the New Antisemitism,» *Patterns of Prejudice*, vol. 37, no.2 (2003), p. 124.

10 سلافوي جيجك، «معاداة السامية وتحولاتها»، في: «تفكيك الصهيونية: نقد ميتافيزيقا سياسية»، تحرير جياني فاتيمو ومايكل ماردر، ترجمة عدنان حسن (منتدى العلاقات العربية الدولية، 2015)، ص 31.

11 المصدر نفسه.

12 المصدر نفسه، ص 32.

13 عزمي بشارة، «مائة عام من الصهيونية: من جدلية الوجود إلى جدلية الجوهر»، «مجلة الكرمل»، العدد 53 (1997)، ص 12.

14 المصدر نفسه.

15 Anita Shapira, «Antisemitism and Zionism,» *Modern Judaism*, vol. 15, issue 3 (October 1995), p. 222.

16 فايز صايغ، «الاستعمار الصهيوني في فلسطين» (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، 1965)، ص 12.

17 المصدر نفسه، ص 28–29.

18 رائف زريق، «إسرائيل خلفية أيديولوجية وتاريخية»، في: «دليل إسرائيل العام 2020»، تحرير منير فخر الدين وأحمد خليفة ومحمود سويد وخالد فراج (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،

STUDENTS-HUB.com

ط1، 2021)، ص 7.

19 المصدر نفسه.

20 لمزيد، انظر: غابرييل بيتربرغ، «المفاهيم الصهيونية للعودة: أساطير وسياسات ودراسات إسرائيلية»، ترجمة سلافة حجاوي (رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2009).

21 Shapira, op. cit., p. 217.

22 Dossa, op. cit., p. 222.

23 لمزيد عن لاسامية هيرتسل، انظر: جوزيف مسعد، «ديمومة المسألة الفلسطينية: حول الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية» (بيروت: دار الآداب، 2009)، ص 336–337.

24 Dossa, op. cit., pp. 222–223.

25 بشارة، مصدر سبق ذكره، ص 11.

26 المصدر: Max Nordau, «Le Sionisme et l'antisemitisme,» *Le Siècle*, 9 Juillet 1899, p. 1.

27 Ibid.

28 مسعد، مصدر سبق ذكره، ص 338.

29 أنيجار، مصدر سبق ذكره، ص 131.

30 Max Nordau, *Max Nordau's Zionistische Schriften: Herausgegeben vom Zionistischen Aktionskomitee* (Köln und Leipzig: Jüdischer Verlag, 1909), pp. 379–388.

ملاحظة: لا بد من توجيه الشكر الجزيل إلى الباحث نبيه بشير على إتاحته استخدام ترجمته (غير المنشورة بعد) للنص السابق ذكره.

31 Ibid.

32 Ibid.

33 Ibid.

34 Ibid.

35 Ibid.

36 Ibid.

37 Ibid.

38 Ibid.

39 Ibid.

40 Ibid.

41 Ibid.

42 Dossa, op. cit., p. 223.

43 Nordau, *Max Nordau's Zionistische Schriften*, op. cit., pp. 39–57.

وأعيد نشره مؤخراً مع تفسير ضمن الكتاب التالي:

STUDENTS-HUB.com

Max Nordau, *Reden und Schriften zum Zionismus*, edited by Karin Tebben (Berlin: De Gruyter Oldenbourg, 2018), pp. 15–25.

ملاحظة: لا بد من توجيه الشكر الجزيل إلى الباحث نبيه بشير على إتاحته استخدام ترجمته (غير المنشورة بعد) للنص السابق ذكره.

44 Ibid.

45 Ibid.

46 صايغ، مصدر سبق ذكره، ص 29.

47 Max Nordau, «Patriotism et Sionisme,» *L'Écho Sioniste*, vol. 4, no. 2 (15 Février 1903), pp. 21–24.

وتُرجم إلى الألمانية ونُشر ضمن كتاب يضم مقالات الكاتب وفق التفاصيل التالية، وقد عمل الباحث نبيه بشير على ترجمته (غير منشورة بعد)، والتي استخدمتها الباحثة في دراستها هذه:

Max Nordau, «Patriotismus und Zionismus,» in Nordau, *Max Nordau's Zionistische Schriften*, op. cit., pp. 289–298.

48 Nordau, «Die Aufgaben des Zionismus («Achiassaf», 1898),» pp. 320–328.

49 Shapira, op. cit., p. 230.

50 لمزيد، انظر: Gur Alroey, «Zionism without Zion? Territorialist Ideology and the Zionist Movement, 1882–1956,» *Jewish Social Studies*, vol. 18, no.1 (Fall 2011), pp. 1–32.

51 Ibid., p. 52.

52 Shlomo Avineri, «Edmund Eisler's Zionist Utopia,» *Midstream*, vol. 31, no. 2 (1985), p. 52.

لمزيد انظر:

Yosef Gorny, «Thoughts on Zionism as a Utopian Ideology,» *Modern Judaism*, vol. 18, no. 3 (1998), pp. 241–251.

53 Ibid., pp. 50–53.

54 مناحم أيزلير، «صورة المستقبل»، في: «رؤى الدولة»، تحرير بيريتز ساندلر (بالعبرية) (تل أبيب: م. نيومان، 1954)، ص 27–98.

ولا بد من شكر الباحث نبيه بشير على إتاحته ترجمته (غير المنشورة بعد) لاستخدامها في هذه الدراسة.

55 المصدر نفسه.

56 المصدر نفسه.

57 صلاح سالم، «معاداة السامية أم معاناة الثقافة العربية من الصهيونية والليبرالية الغربية معاً!»، «شؤون عربية»، العدد 117 (2004)، ص 154.

58 بشارة، مصدر سبق ذكره، ص 19.

59 Anidjar, op. cit., p. 36.

60 أيزلير، مصدر سبق ذكره، ص 27–98.

STUDENTS-HUB.com

61 المصدر نفسه.

62 Nicola Robinson, «Utopian Zionist Development in Theodor Herzl's Altneuland,» *Green Letters: Studies in Ecorciticism*, vol. 17, no. 3 (2013), p. 233.

63 Dossa, op. cit., p. 219.

64 أيزلير، مصدر سبق ذكره، ص 27–98.

65 جيل أنيجار، «الدولة الانتحارية»، ترجمة وتقديم عبد الرحيم الشيخ، «إضافات»، العددان 43–44 (صيف – خريف 2018)، ص 219.

66 أيزلير، مصدر سبق ذكره، ص 27–98.

67 المصدر نفسه.

68 المصدر نفسه.

69 انظر: زيغمونت باومان، «الحداثة والهولوكست»، ترجمة حجاج أبو جبر، دينا رمضان (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019).

70 أنيجار، «اليهودي العربي....»، مصدر سبق ذكره، ص 138.

71 جوزيف مسعد، «آخر الساميين»، «جدلية»، 2023/5/31 (تم الوصول إليه بتاريخ 17–12–2020). https://bit.ly/3ofZc9f

72 Anidjar, op. cit., p. 35.

73 Ibid., p. 33.

74 صايغ، مصدر سبق ذكره، ص 35.

75 الباحث رائف زريق: «تعريف اليمين الإسرائيلي للاسامية يهدف لنزع الشرعية عن النضال الفلسطيني»، «القدس العربي»، 2020/2/27 (تم الوصول بتاريخ 20–12–2020). https://bit.ly/3qYwvzD

76 Phyllis Chesler, *The New Anti–Semitism* (San Francisco: Jossey–Bass, 2003), p. 88.

77 Robert S. Wistrich, *Anti–Zionism and Anti–Semitism in the Contemporary World* (London: The Macmilan Press LTD, 1990), p. 53.

78 لمزيد، انظر: هنيدة غانم، «المحو والإنشاء في المشروع الاستعماري الصهيوني»، «مجلة الدراسات الفلسطينية»، العدد 96 (خريف 2013)، ص 118–139.

79 مثلت «حركة البوند» كبرى الحركات السياسية في بولندا، في فترة ما بين الحربين العالميتَين الأولى والثانية، وكانت تدعو إلى نشر ثقافة يهودية علمانية تتحدث لغة اليديش، وتسعى للاندماج في الدول الأوروبية التي توجد فيها المجتمعات اليهودية، وانتزاع حقوق قومية على قدم من المساواة مع المكونات الأوروبية الأُخرى. كما أنها حملت رؤية اشتراكية لا تطالب بحقوق العمال اليهود فقط، بل حقوق جميع العمال حول العالم. وعلى الرغم من أن الحركة نالت شعبية واسعة في أوروبا الشرقية تحديداً، فإنه حُكمَ عليها بالإبادة في إبان المحرقة النازية. لمزيد، انظر: أنطوان شلحت، «أولاد البوند: الصهيونية لا تشكل حلاً لجميع يهود العالم»، موقع «ضفة ثالثة»، 2022/5/27 (تم الوصول بتاريخ 2023/6/19).

STUDENTS-HUB.com

https://shorturl.at/dmqL9

80 عزمي بشارة، «أصحيح أن معاداة الصهيونية هي أحد الأشكال الحديثة لمعاداة السامية؟ معاداة الصهيونية باعتبارها ظاهرة يهودية»، «المركز العربي للأبحاث والدراسات»، 2019/2/28 (تم الوصول بتاريخ 24–12–2020).

https://bit.ly/3t9pJce

81 المصدر نفسه.

82 المصدر نفسه.

83 المصدر نفسه.

84 Anita Shapira, «Israeli Perceptions of Anti–Semitism and Anti–Zionism,» *Journal of Israeli History*, vol. 25, no.1 (2006), p. 250.

85 Ibid., p. 256.

86 Ibid.

87 عبد الكبير الخطيبي، «النقد المزدوج» (الرباط: منشورات عكاظ، 2000)، ص 70.

88 المصدر نفسه، ص 73.

89 المصدر نفسه، ص 77.

90 المصدر نفسه، ص 96–116.

91 بشارة، «أصحيح أن معاداة الصهيونية...»، مصدر سبق ذكره.

92 المصدر نفسه.

93 بشارة، «مائة عام على الصهيونية...»، مصدر سبق ذكره، ص 12.

94 Max Nordau, *Max Nordau's Zionistische Schriften*, op. cit., pp. 58–76; Max Nordau, *Reden und Schriften zum Zionismus*, op. cit., pp. 50–60.

ملاحظة: أشكر الباحث نبيه بشير على إتاحته ترجمته للمواد (غير المنشورة بعد) التي يتضمنها هذان الكتابان.

95 Ibid.

96 بشارة، «مائة عام على الصهيونية...»، مصدر سبق ذكره، ص 19.

97 المصدر نفسه.

98 لمزيد، انظر: David Mamet, *The Wicked Son: Anti–Semitism, Self–Hatred and the Jews* (New York: Schocken Books, 2006).

99 جيجيك، مصدر سبق ذكره، ص 40.

100 المصدر نفسه.

101 لمزيد، انظر: ياسين السيد، «تعريف عملي لمعاداة السامية: نبذة عن التحالف الدولي لإحياء ذكرى محرقة اليهود (نص مترجم)»، «قضايا إسرائيلية»، العدد 78 (2020)، ص 9–10.

102 خلدون البرغوثي، «التعريف العملي لمناهضة السامية: كاتم صوت منتقدي إسرائيل»، «قضايا إسرائيلية»، العدد 78 (2020)، ص 11–26.

STUDENTS-HUB.com

103 لمزيد، انظر: هنيدة غانم، «التأطير المركب لنظام هجين: جدلية الاستعمار الاستيطاني والاحتلال والأبارتهايد في فلسطين»، في: «إسرائيل والأبارتهايد»، إعداد وتحرير هنيدة غانم، عازر دكور (رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2018).

104 المصدر نفسه، ص 29.

105 المصدر نفسه، ص 117.

106 أمنون راز كراكوتسكين، «حنا أرندت والمسألة الفلسطينية»، «الكرمل»، العدد 62 (2000)، ص 125.

107 Dossa, op. cit., pp. 227–228.

108 جوديث بتلر، «هل اليهودية هي الصهيونية؟ أو أرندت والدولة القومية»، في: «تفكيك الصهيونية: نقد ميتافيزيقا سياسية»، تحرير جياني فاتيمو ومايكل ماردر، ترجمة عدنان حسن (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015)، ص 77.

109 المصدر نفسه، 78. ولمزيد، انظر: جوديث بتلر، «مفترق الطرق: اليهودية ونقد الصهيونية»، ترجمة نور حريري (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017).

110 Bashir Bashir and Amos Goldberg, «Introduction: The Holocaust and the Nakba–A New Syntax of History, Memory, and Political Thought,» in *The Holocaust and the Nakba: A New Grammar of Trauma and History,* edited by Bashir Bashir and Amos Goldberg (New York: Columbia University Press, 2018), p. 6.

111 Ibid., p. 27.

112 Ibid., p. 7.

113 Ibid., p. 24.

STUDENTS-HUB.com

المراجع

بالعربية

- أنيجار، جيل. «اليهودي العربي: تاريخ العدو». ترجمة وتقديم عبد الرحيم الشيخ ورنا بركات. «مجلة الكرمل الجديد»، العددان 3–4 (2012)، ص 123–169.
- _____. «الدولة الانتحارية». ترجمة وتقديم عبد الرحيم الشيخ. «إضافات»، العددان 43–44 (صيف – خريف 2018)، ص 218–242.
- أيزلير، مناحم. «صورة المستقبل». في: «رؤى الدولة». تحرير بيريتز ساندلر، (بالعبرية) (تل أبيب: م. نيومان، 1954)، ص 27–98.
- باومان، زيغمونت. «الحداثة والهولوكست». ترجمة حجاج أبو جبر، ودينا رمضان. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.
- بتلر، جوديث. «هل اليهودية هي الصهيونية؟ أو أرندت والدولة القومية»، في: «تفكيك الصهيونية: نقد ميتافيزيقيا سياسية». تحرير جياني فاتيمو ومايكل ماردر. ترجمة عدنان حسين. الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015، ص 57–208.
- _____. «مفترق الطرق: اليهودية ونقد الصهيونية». ترجمة نور حريري. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.
- البرغوثي، خلدون. «التعريف العملي لمناهضة السامية: كاتم صوت منتقدي إسرائيل». «قضايا إسرائيلية»، العدد 78 (2020)، ص 11–26.
- بشارة، عزمي. «مائة عام من الصهيونية: من جدلية الوجود إلى جدلية الجوهر». «مجلة الكرمل»، العدد 53 (خريف 1997)، ص 11–20.
- بيتربرغ، غابرييل. «المفاهيم الصهيونية للعودة: أساطير وسياسات ودراسات إسرائيلية». ترجمة سلافة حجاوي. رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات

STUDENTS-HUB.com

الإسرائيلية، 2009.
- جيجك، سلافوي، «معاداة السامية وتحولاتها». في: «تفكيك الصهيونية: نقد ميتافيزيقيا سياسية». تحرير جياني فاتيمو ومايكل ماردر. ترجمة عدنان حسن. الدوحة: منتدى العلاقات العربية الدولية، 2015، ص 23–44.
- الخطيبي، عبد الكبير. «النقد المزدوج». الرباط: منشورات عكاظ، 2000.
- راز – كراكوتسكين، أمنون. «حنا أرندت والمسألة الفلسطينية». «الكرمل»، العدد 62 (شتاء 2000)، ص 113–132.
- زريق، رائف. «إسرائيل خلفية أيديولوجية وتاريخية»، في: «دليل إسرائيل العام 2020». تحرير منير فخر الدين وأحمد خليفة ومحمود سويد وخالد فراج. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 2021، ص 1–72.
- سالم، صلاح. «معاداة السامية أم معاناة الثقافة العربية من الصهيونية والليبرالية الغربية معاً!». «شؤون عربية»، العدد 117 (2004)، ص 152–161.
- السيد، ياسين. «تعريف عملي لمعاداة السامية: نبذة عن التحالف الدولي لإحياء ذكرى محرقة اليهود (نص مترجم)». «قضايا إسرائيلية»، العدد 78 (2020)، ص 9–10.
- صايغ، فايز. «الاستعمار الصهيوني في فلسطين». بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، 1965.
- غانم، هنيدة. «المحو والإنشاء في المشروع الاستعماري الصهيوني». «مجلة الدراسات الفلسطينية»، العدد 96 (2013)، ص 118–139.
- _____. «التأطير المركب لنظام هجين: جدلية الاستعمار الاستيطاني والاحتلال والأبارتهايد في فلسطين». في: «إسرائيل والأبارتهايد». إعداد وتحرير: هنيدة غانم، عازر دكور. رام الله: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2018.
- مسعد، جوزيف. «ديمومة المسألة الفلسطينية: حول الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية». بيروت: دار الآداب، 2009.

STUDENTS-HUB.com

بالأجنبية

- Alroey, Gur. «Zionism without Zion? Territorialist Ideology and the Zionist Movement, 1882–1956.» *Jewish Social Studies*, vol. 18, no. 1 (Fall 2011), pp. 1–32.
- Anidjar, Gil. *Semites: Race*, *Religion*, *Literature*. Stanford: Stanford University Press, 2008.
- Arendt, Hannah. *The Origins of Totalitarianism*. Cleveland: Meridian Books, 1962.
- Avineri, Shlomo. «Edmund Eisler's Zionist Utopia.» *Midstream*, vol. 31, no. 2 (1985), pp. 50–53.
- Bashir, Bashir and Amos Goldberg. «Introduction: The Holocaust and the Nakba–A New Syntax of History, Memory, and Political Thought.» In *The Holocaust and the Nakba: A New Grammar of Trauma and History*. Edited by Bashir Bashir and Amos Goldberg. New York: Columbia University Press, 2018.
- Chesler, Phyllis. *The New Anti–Semitism*. San Francisco: Jossey Bass, 2003.
- Dossa, Shiraz. «Hannah Arendt on Political Zionism.» *Arab Studies Quarterly*, vol. 8, no.3 (Summer 1986), pp. 219–230.
- Gorny, Yosef. «Thoughts on Zionism as a Utopian Ideology.» *Modern Judaism*, vol. 18, no. 3 (1998), pp. 241–251.
- Klug, Brain. «The Collective Jew: Israel and the New Antisemitism.» *Patterns of Prejudice*, vol. 37, no. 2 (2003), pp. 117–138.
- Mamet, David. *The Wicked Son: Anti–Semitism, Self–Hatred and the Jews.* New York: Schocken Books, 2006.
- Mazower, Mark. *Hitler's Empire: Nazi Rule in Occupied Europe.* London: Lane, 2008.
- Nordau, Max. «Die Aufgaben des Zionismus» («Achiassaf», 1898).
- _____. «Le Sionisme et l'antisemitisme.» *Le Siècle*, 9 Juillet 1899.
- _____. «Patriotism et Sionisme.» *L'Écho Sioniste*, vol. 4, no. 2 (15 Février 1903), pp. 21–24.
- _____. *Max Nordau's Zionistische Schriften*: *Herausgegeben vom Zionistischen Aktionskomitee.* Köln und Leipzig: Jüdischer Verlag, 1909.
- _____. «Patriotismus und Zionismus.» In *Max Nordau's Zionistische Schriften*, *Herausgegeben vom Zionistischen Aktionskomitee.* Köln und Leipzig: Jüdischer Verlag, 1909.
- _____. *Reden und Schriften zum Zionismus*. Edited by Karin Tebben. Berlin: De Gruyter Oldenbourg, 2018.
- Robinson, Nicola. «Utopian Zionist Development in Theodor Herzl's Altneuland.» *Green Letters: Studies in Ecorciticism*, vol. 17, no. 3 (2013), pp. 223–235.

STUDENTS-HUB.com

- Shapira, Anita. «Antisemitism and Zionism.» *Modern Judaism*, vol. 15, issue 3 (October 1995), pp. 215–232.
- _____. «Israeli Perceptions of Anti–Semitism and Anti–Zionism.» *Journal of Israeli History*, vol. 25, no.1 (2006), pp. 245–266.
- Wistrich, Robert. *Anti–Zionism and Anti–Semitism in the Contemporary World*. London: The Macmilan Press LTD, 1990.

المواقع الإلكترونية

- بشارة، عزمي. «أصحيح أن معاداة الصهيونية هي أحد الأشكال الحديثة لمعاداة السامية؟ معاداة الصهيونية باعتبارها ظاهرة يهودية». موقع «المركز العربي للأبحاث والدراسات»، 28/ 2/ 2019 (تم الوصول بتاريخ 24–12–2020).

https://bit.ly/3t9pJce

- زريق، رائف: «تعريف اليمين الإسرائيلي للاسامية يهدف لنزع الشرعية عن النضال الفلسطيني». «القدس العربي»، 27/ 2/ 2020 (تم الوصول بتاريخ 20–12–2020).

https://bit.ly/3qYwvzD

- شلحت، أنطوان. «أولاد البوند: الصهيونية لا تشكل حلاً لجميع يهود العالم»، موقع «ضفة ثالثة»، 27/ 5/ 2022 (تم الوصول بتاريخ 19/ 6/ 2023).

https://shorturl.at/dmqL9

- مسعد، جوزيف. «آخر الساميين». «جدلية» 31/ 5/ 2013 (تم الوصول بتاريخ 17–12–2020).

https://bit.ly/3ofZc9f

STUDENTS-HUB.com